Telegram:@mbooks90

الكتـــــــاب: شعوذة الأزقة
اسم المـــؤلف: صالح أبو غوش
تصميم الغـلاف: عبدالمنعم سيد
التدقيق اللغوي: مروة الشربيني
الطبعـــــة: فبراير 2024
رقـم الإيـــداع: 2024 / 14473
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 767 - 2
الموقـــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

القاهرة - جمهورية مصر العربية
10 ش هدى شعـراوي، وسـط البلد، القاهـرة
هاتف: 0223909119 -
موبايل: 01001631173
الموقع الالكتروني:
www.ibda3eg.com

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مركز الأعمال- مدينة الشارقة للنشر
- المنطقة الحرة- الشارقة
موبايل: 00971526400538
البريد الالكتروني:
ibdaa.emirates@gmail.com

إهداء

الى أمي الحبيبة وأبي الغالي

وزوجتي العزيزة..وأخوتي وأولادي

وإلى كل من علمني حرفًا

كالاستيقاظ من كابوس مرعب، يدوّي صراخ فظيع في أرجاء المكان، نحيب امرأة مجروحة يزلزل البيوت القديمة، كأنه أذان جامع ينادي للصلاة، أو كأجراس كنيسة تدق بقوه هائلة.

كنت في تلك اللحظة أجلس على سريري أرتشف فنجان قهوتي التي أعدتها أمي بعد غداء يوم الجمعة الرسمي في القدس؛ طبخة المقلوبة الشهيرة التي تتفنن أمي في إعدادها بالدجاج والباذنجان والأرز الشهيّ، ولكن يوم الجمعة سيتحوّل من اليوم إلى يوم الشؤم!

توقفت فجأة عن شرب قهوتي التي تعدل مزاجي، وتركت للحظة سيجارتي التي تُشبع حاجتي وإدماني للنيكوتين السام، كم هو غريب إدمان الإنسان سموم الموت وحبّه للحياة في الوقت نفسه! أنصتُّ قليلًا لأستمع بوضوح إلى سيمفونية الوجع والنحيب التي تملأ المكان.

بدأ كل شيء كصرخة فزع مدوية تحت نافذتي التي تطل على حارتنا من الطابق الثاني في بناية يبلغ عمرها مئات السنين، أسكنها أنا وعائلتي بعد أن ورث استئجارها أبي عن جدي، كان مبلغ الإيجار بسيطًا لا يمكن رَفْعه من المؤجر حسب قوانين الاستئجار القديمة.

Telegram:@mbooks90

لم يلبث هذا الصوت أن امتزج بأصوات كثيرة من سكان الحي، فهناك مَن يركض، وهناك من ينادي، وهناك مَن يتحدث بصوتٍ عالٍ حتى أصبحت حارتنا كسوق امتلأت بالعروض المغرية والزبائن النّهمين المتهافتين على خطف البضاعة الرخيصة.

كم تجذب المآسي الناس، كالحشرات تتهافت على جثة هامدة تنازع آخر رمق من الحياة، ربما تعطيهم مشاهدة الموت أو العذاب متعة غريبة تُشعرهم بأنهم ما زالوا أحياء.

أطفأت سيجارتي، وأخذت أرتشف آخر قطرة من قهوتي، ثم توجّهت إلى الشرفة التي تطل على حيّنا، وأخذت أراقب هذا السيل من الناس.

كانوا جميعًا من حارة السعدية؛ واحدة من حارات القدس الكثيرة، فقد عشت

طوال حياتي بهذه الحارة، ولعبت في أزقّتها، وكبرت فيها، حتى قررتُ في أحد الأيام الهروب بعيدًا عن مسقط رأسي، والتوجه للعمل في مدينه تل أبيب، أو تل الزهور؛ اسمها الأصلي، كنت أتوق إلى العودة كل يوم، خلال خمس سنين انقطعت فيها عن القدس بالكامل، ما عدا زياراتي الشهرية لبيتنا ولأمي العزيزة.

أمي التي كانت تُصرُّ دومًا على أن أعود إلى القدس، وأن أترك تل أبيب وشرورها، ويضاف إلى ذلك إصرارها على حتمية زواجي، خصوصًا أن عمري اقترب من الثلاثين عامًا، وقد تحقّقت أمنيتها الأولى بعودتي، وغمرتها السعادة بعودة طائرها إلى عشّه بعد سنوات من التحليق بعيدًا، ارتاح بالها أخيرًا، واعتبرته فوزًا بمعركة حربية عظيمة، ما أجمل قلب الأم!

ناديتُ من الشرفة على الجيران؛ أسألهم: ما سبب كل هذه البلبلة؟ ردّ عليّ أكثر من شخص بأن «سمر» اختفت.

هل رأيتها؟ سألني الجار، يالَهُ من غبي! وطبعًا لم ينتظر إجابتي؛ فذهب هو ومجموعة أخرى من الجيران للبحث عنها في أماكن أخرى.

خرجت من غرفتي المنفصلة عن بقية غرف البيت إلى ساحة صغيرة دون سقف مملوءة بشتى أنواع النباتات والورد التي تعتني أمي بها، ثم إلى ممر مسقوف بقباب قديمة التصميم، وطبعًا كان باب بيتنا الحديدي مفتوحًا كالعادة، أمي موجودة طبعًا مع بقية الجيران، كم أحب نزول هذه الدرجات العشر وملامسة جدران الممر وأحجارها الضخمة.. كنت أتساءل دائمًا: كم من يد لامست هذه الجدران عبر مئات السنين من تاريخ القدس؟ هنا في بيتي يراودني شعور أنني أعيش في أكثر من عصر؛ فعَبق الحضارات المختلفة يشعّ من كل جانب، وبصمات التاريخ تسطع من كل زاوية عبر خمسة آلاف سنة من النزاعات والحروب والسِّلم والحضارة والدمار، ثم تكرار التاريخ مرةً بعد مرة، حضارةً بعد حضارة.. حتى أصبحت جدران القدس كمتحف لكل الحضارات المختلفة، ممتزجة معًا برائحة الياسمين والدم.

بعد نزول الدرجات العشر، والخروج من ممر معتم، كم أكره رائحة الرطوبة في هذا الممر التي لا تصل إليه شمس! فتحتُ الباب المؤدي إلى الحارة، كانت أصوات

الناس وحركاتهم وكلامهم مسموعة قبل أن أفتح الباب.

أشعلت سيجارة جديدة، لا أعرف لماذا أقوم كل مرة بهذه العادة عندما أضع قدمي في طرق الحارة؛ فكل زاوية وحجر وبلاطة هنا لها مئات الذكريات من طفولتي وشبابي، ويراودني شعور كأنني أمشي في داخل مذكراتي وعبر تاريخ حياتي في كل مرة.

تبدو لي حركة الناس عشوائية في كل اتجاه.. «سمر» ضاعت؛ أخبرني أحدهم. سألته: منذ متى؟ وكيف حصل ذلك؟ وأين أمها؟ لم يجبني، واستمر بالبحث، طبعًا هو لا يعرف، لا أحد فعليًا يبحث عن الحقيقة، وإنما هو بحث عشوائي عاطفي غير مُنظَّم تملؤه الشائعات والتخمينات.

عاد صوت النحيب، كانت «عبير» تركض كالمجنونة باتجاه بيتها، تبكي بحرقة، تنادي بأعلى صوتها: «سمر».. «سمر»! اخترق صوتها المرعوب قلوب كل المارة بحيّنا كأنه سهم مسموم يدخل إلى جسدك مخترقًا اللحم والعظم؛ فيتركك في حالة من الذهول والحزن والألم، شعرت بهزة غريبة تحت قدميّ كأن نحيبها على فلدة كبدها قد حرّك الأرض من تحت أقدامنا.

كانت تركض كسجين هارب من حبل المشنقة، مذهولة عيناها، جاحظتان كمن ينازع الموت ويتشبث بالحياة من غير جدوى ولا هدف، كانت عيناها مفتوحتين، ولكنها لا ترى أيًا من الموجودين؛ تفتش بكل زاوية، تدعو الله بكل اسم له، تُقبّل أيدي المارة كي يساعدوها، ثم تصيح من جديد: «سمر».. «سمر».. «سمر»! وتركض باتجاه مختلف، وإلى زقاق آخر من أزقة القدس القديمة المتشابكة.

***

نصف ساعة بعد اختفاء «سمر»..

بعدما بحثنا في كل أرجاء حارة السعدية أنا وصديقاي «مجد» و«تيم»، خال البنت، صحيح هو أصغر مني ومن «مجد» بأربع سنين، لكنّ هذا الشاب محبوب، وفي كثير من الأوقات نجتمع نحن الثلاثة نلعب الشدة، أو نجلس في قهوة، أو ندردش ونتناقش في كثير من الأمور؛ فأنا أُحبّ الشباب المثقفين وغير المتكبرين.

حارة السعدية من الحارات التي بُنِيَت معظم بناياتها على الطراز الإسلامي، وطبعًا اسمها جاء من قبيلة بني سعد أو السعديين الذين استعادوا القدس من أيدي الصليبيين مع صلاح الدين.

لم ندع لا بيتًا ولا متجرًا من متاجر حارة السعدية إلا وسألناه عن «سمر»، الجميع متعاطف، الجميع يدعو الله، وقد كنا نعرف أنه مع الدعاء يجب العمل بسرعة لإيجاد البنت، ولم ندع مقامًا من مقامات الأولياء الصالحين -كما يُسمّيهم أهل المنطقة- إلا وبحثنا فيه.

آه.. لو أن إحدى هذه الكاميرات التي دمّرها أهل الحي بعد تركيبها مباشرةً تعمل، فربما ساعدتنا في إيجاد «سمر»؛ قال «تيم».

طبعًا كل الكاميرات الأمنية التي زُرعت بكل أرجاء القدس القديمة تَخدم هدفًا واحدًا فقط؛ هو حماية الإسرائيليين، واعتقال أيّ شخص يلقي حجارة، أو أي عمل من هذا القبيل، الكل يعرف هذه الحقيقة، وكم من مرة جرى تركيب هذه الكاميرات وتكسيرها حتى يئست الشرطة من تركيبها في النهاية بحيِّنا.

نظرت إلى «مجد» و«تيم»، وأنا ألهث وأحاول أخذ نفسي..

اسمعا! يجب أن نذهب إلى منطقة باب الساهرة؛ لأن الكل يُفتّش في الحارة، ويمكن أن تكون البنت قد نزلت إلى باب الساهرة، أو حتى إلى المسجد الأقصى..

هزّ «مجد» رأسه، وهو يحاول التقاط أنفاسه، و«تيم» يتبعنا دون أي تعليق، مع أن المسافة ليست قريبة إلى باب الساهرة، لكن وجب علينا البحث والمحاولة.

أقدامنا معتادة هذه الدرجات التي تبدو دون نهاية، مع أن نزول الدرج يبقى أسهل أكيد، الركض من حارتنا إلى الحارات الثانية، أو باتجاه المسجد الأقصى، أو طريق الآلام الذي يؤمن المسيحيون بأن المسيح -عليه السلام- سار به منذ لحظة الحكم عليه بالإعدام حتى صَلْبه. طبعًا نحن بوصفنا مسلمين نؤمن بالمسيح ونُكِنُّ له حبًّا، على الرغم من أننا لا نُؤمن بصَلْبه.

كان الركض بهذه الطرق التي يَؤُمُّها الحجاج من العالم كله يثير شبهات أي شخص، ومن ضمنهم رجال الشرطة.

كنت دائمًا أتساءل إن دُستُ في إحدى المرات موقعًا كان المسيح -عليه السلام- قد داسه بقدمه! هذه المدينة التي زارها معظم الرُّسل، أكاد أسمع كلامهم من خلال هذا النسيم الذي يمر على وجهي، وأشاهد أتباعهم يبنون هذه الأسوار والمساجد والكنائس والمعابد.

تلتحم بهذه الطُرق كل الأديان، تتنافس على كل شبر بالقدس؛ فبكل زاوية مسجد أو كنيسة أو مقام أو قطعة من تاريخ معركة، أو من مدرسة قديمة، يكاد كل حجر يكون جزءًا من شيء مُقدَّس، أو تُقام الصلوات خلف أسواره، وكلها تتعانق بأقواس حجرية عمرها مئات السنين؛ تُذكِّرني هذه الأقواس بإخوة متعانقين أمام عدسة كاميرا لأخذ صورة تذكارية.

حاولتُ أخذ نفَسي عندما وصلنا إلى آخر الدرجات، كانت أحجار دير الراهبات في المرحلة الثالثة من طريق الآلام باردةً فشجّعتني على الاتكاء عليها لحظات..

خاطبت «مجد» و«تيم»:

- لا نستطيع تفتيش كل مكان في طريقنا، ولكن سنبحث في الطرق الرئيسة نفسها.

وبما أننا وصلنا إلى طريق الآلام الممتلئة بمحلات الصاغة والتحف الأثرية، فلا بُدَّ من أن نسال أصحاب المحلات إن كانوا قد شاهدوا طفلة ضائعة، فهذا وقتٌ تخفُّ فيه حركة السياح والحجاج، ومعظم أصحاب المحلات يجلسون دون أيّ عمل غير الثرثرة.

وعند سؤالي صاحب أول محل، قال لي:

- وما الملابس التي كانت عليها؟

لم يكُن لديّ ردّ، فلم أسأل هذا السؤال البديهي مع كلّ ما مررنا به.

- كانت ترتدي بنطلونًا جينز وبلوزة صفراء.

قالها «تيم»، وأضاف:

- وعمرها خمس سنوات.

أجاب صاحب المحل بالنفي، وكذلك كل شخص سألناه حتى وصلنا إلى طريق الواد .

ثم إلى منطقة باب العامود، وبعدها غُدنا من خارج أسوار البلدة القديمة إلى باب الساهرة المؤدي إلى حارة السعدية، وهناك تحت قبب وأقواس باب الساهرة التقينا «عبير» التي كانت تهمُّ بالخروج من باب الساهرة إلى خارج أسوار القدس القديمة.

- إلى أين؟!

صاح «تيم».

لم تشاهدنا في البداية..

فعيناها المذهولتان وأنفاسها المقطوعة ودموعها قد جذبت حشدًا حولنا، الكلّ يعتريه الفضول لمعرفه قصة هذه السيدة ..

أخذت الحروف تحاول الخروج بصعوبة من شفتيها ، تخرج الحروف مرعوبةً مصحوبةً بالدموع، وفهمنا منها أنها تريد الذهاب إلى مركز الشرطة في شارع صلاح الدين المجاور.

- هيا بنا سنذهب معك، وأنا أجيد اللغة العبريّة، سنشرح لهم مواصفات «سمر»، وربما وجدها أحدهم، وسلّمها لمركز الشرطة.. لماذا لم نفكر بذلك؟!

أرجع كلامي هذا الحياة فجأة إلى وجه «عبير»، وانطلقت بسرعة إلى مركز الشرطة دون حتى أن تنتظرنا..

- توقفي! توقفي!

ركضنا وأمسكنا بها.

- لا تركضي وأنتِ متوجهة إلى مركز الشرطة؛ فحركة كهذه قد يقابلونها بطلقات نارية؛ ظنًا منهم أنك ستقومين بعملية استشهادية.

- أنتِ تعرفين أنه لا أحد يركض باتجاه الشرطة أو الجيش.

قالها «مجد».

أومأت برأسها، وتوجهنا إلى مركز الشرطة.

عندما وصلنا، دخلت أنا و«عبير» و«تيم» إلى المركز؛ فأنا أجيد العبرية، أما «مجد» فانتظر بالخارج؛ فهو لا يحب دخول مراكز الشرطة؛ لأنه اعتاد دخولها ويداه مربوطتان في عدة مناسبات غير سعيدة، كان آخرها حكمًا بالسجن لمدة سنتين،تاب بعدها عن سرقة المستوطنات، كان «مجد» يَعتبر سرقة السارق عملًا مشروعًا.

أجهزة كشف المعادن التي مررنا من داخلها بها قدرة عالية على كشف كل قطعة معدنية.

وبعدها قدَّمنا بلاغًا عن اختفاء «سمر» ومواصفاتها، نظرت إلى عينَي «عبير» عندما أدركنا أن «سمر» غير موجودة بمركز الشرطة، كانت الشعلة التي أضاءت عينيها قبل قليل قد انطفأت، مع أن الأمل بعينيها لم يكُن كبيرًا.

- أريد أيضًا رقم جوالك؛ لأنه ضروريٌ للتحقيق.

كانت كلمات الضابط بلهجة فيها تكبُّر وخبث.. لم يعجبني الطلب، ولم يعجب «تيم»، لكن الضابط أصرَّ.

خلال نصف ساعة في مركز الشرطة سأل الضابط أسئلة كثيرة، كان معظمها حول

والد «سمر»، غازي الأزعر، المعروف بالبلد والموجود الآن بالسجن يقضي محكومية 20 سنة.

«عبير» التي دخلت مركز الشرطة ليست نفسها هي التي خرجت؛ فهي أهدأ الآن، وتغرق في بحر أفكار، تسير معنا إلى الحارة وإلى البيت، ولكن قدميها في عالم آخر، نراقبها جميعًا، عيناها تسبحان بين غيوم فكرة قد خطرت لها، أو ربما هذه بداية جنون الصدمة.

توقفَت في منتصف الطريق إلى البيت، وأرادت أن تخبرنا شيئًا، لكنها تراجعت في آخر لحظة.

انشغلت أنا و«مجد» و«تيم» باستقبال عشرات المكالمات التي تستفسر عن «سمر»، معظمها كانت من أشخاص يَعتريهم الفضول والنميمة، وبعضها الآخر من الجيران والأهل الذين استمروا بالبحث في جميع أرجاء البلدة القديمة.

عجَّت وسائل التواصل الاجتماعي بأخبار اختفاء «سمر»، وبدأت آلاف التعليقات السلبية والمتعاطفة، نهر جارف لا سبيل إلى وَقْفه.

- هل لديكِ صورة حديثة لـ«سمر»، أريد أن أنشرها على جميع وسائل التواصل مع معلومات عنها.

قالها «تيم».

سلَّمت «عبير» الهاتف لـ«تيم» ليبحث عن الصورة، ويرسلها إلى هاتفه؛ فقد كانت أفكارها في مكانٍ ما، هدوء غريب سيطر عليها ممزوجًا بالرعب.

- يا ابن الكلب!

صاح «تيم» بغيظ!

- ما بالك؟

- انظر مَن أرسل إلى «عبير»! إنه الضابط نفسه، هذه كلمات على «واتساب»:

«هذا هاتفي الشخصي، سوف أهتم بقضيتك، وأُعلمك بكل جديد، وإذا حصل أي تغيير من جهتكم الرجاء إخباري بأيّ وقت؛ فمثلك لا يجب أن يحزن أبدًا».

دوّت نار في أمعائي لسماع هذه الكلمات، فليس من عادة أفراد الشرطة توزيع أرقامهم الخاصة، يالَهُ من خبيث!

- لا ترد الآن!

قالها «مجد» لـ«تيم» الذي كتب رسالة كلها شتائم للضابط على وقاحته، فالآن ليس الوقت المناسب للرد عليه.

محا «تيم» رسالته قائلًا:

- إذا أرسل أيّ رسالة فأعلميني.. مفهوم؟

أومأت «عبير» برأسها، لم يعنِها الأمر كثيرًا؛ فقد تعاملت مع مئات المواقف مثل هذا بحزم، أما الآن فهي مرهقة القوى، لا تقوى حتى على الحديث.

أكملنا ما تبقى من الطريق في صمت، ما عدا بضع كلمات وكثير من المكالمات الهاتفية، لا أثر لـ«سمر».

- أكاد أُجن!

صاح «تيم»..

- أين «سمر»؟ أين اختفت؟

شعور خال «سمر» وأسئلته هي سؤال كل أهل القدس القديمة والقرى المجاورة الآن.

8 ساعات مرت على اختفاء «سمر»..

جلستُ قليلًا أستريح، وأنا أتتبع أخبار «سمر» على مواقع التواصل الاجتماعي، الكل هبّ للمساعدة في عمليات البحث، ما زالت أمي في بيت «عبير» المجاور لنا، مع بعض الجارات.

ثم سمعتُ فجأة صوت صياح من امرأة كأنه صوت عشرة رجال من الخشونة، كلمات نابية على مدخل بيت «عبير»، اتجهتُ بسرعة إلى الشرفة ولكني لَم ألمح صاحب هذا الصوت الغليظ.

علت أصوات مشادة في بيت «عبير»، والشتائم تتراشق في كل اتجاه.

لقد عرفتُ هذا الصوت.. إنها «أم غازي»، جدة «سمر»؛ فغلاظة كلماتها وصوتها العالي كأنهما قطار اقترب منك على حين غرة، لم تَمضِ دقيقة حتى خرجت كل النسوة من بيت «عبير» إلى بيوتهن.

شعرها الكثيف، وضخامة جسدها، وعيناها اللتان تشعان حقدًا ورعبًا، هي كل ما يذكره أيّ طفل عاش في حيِّنا، كانت كابوسًا يُخيِّم على هذا الحي، ولم يكُن يُضاهيها بالمكر والنجاسة سوى ابنها «غازي».

حمد أهل الحي الله آلاف المرات عندما رحلت عن حيّنا قبل بضع سنوات إلى بيتهم الجديد في منطقة كفر عقب المجاورة لرام الله، وتركت بيتهم المُستأجَر مهجورًا، إلا من زيارة تقوم بها كل شهر، وعلى الرغم من أن هذا البيت القديم صغير ومتهالك، فإنها لم تُرِد التفريط ببيتٍ يبلغ إيجاره السنوي مائة دولار.

خطوات أمي كلحنٍ ألفتْ سماعه، وهي تضع أقدامها بتثاقل على درجاتنا صاعدة إلى المنزل.

أعددت إبريق شاي بالنعناع، كما تحبّه ست الحبايب.

جلسَتْ على كرسي في غرفتي، وقد شعَّت عيناها غضبًا:

- «أم غازي» -لعنها الله- تهجمت علينا، طردت كل الجارات، وقالت: «سمر»! نحن نهتم لأمرها، وليس لَكُنَّ شأن فيها، وانهالت بالشتائم على «عبير».

كانت «أم غازي» تكره «عبير» وابنتها، ولم تزرهما منذ أن طُلِّقت «عبير» من «غازي» قبل سنة، وكرهت «سمر» من يوم ولادتها؛ فـ«أم غازي» لا تطيق البنات، وتُفضل الصبيان؛ فهي لم تحمل «سمر» بين ذراعيها قط، على الرغم من أنها حفيدتها

الوحيدة.

- تفضلي كأس الشاي. ولماذا تصيح بالجارات و«عبير»؟ وما سر هذا الاهتمام المفاجئ؟!

- أنت تعرف «أم غازي»، فكل الجارات يخفن منها، ولا أحد يجرؤ على الوقوف في وجهها؛ فهي وَقِحَة غير أنها... أنت تعرف، بسم الله الرحمن الرحيم.

- هههههه، يا أماه! أنتِ ما زلت تصدقين هذه الخرافات!

- لا تقُل هذا الكلام، هذه أمور أنت لا تعلم عنها (بسم الله الرحمن الرحيم، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم)؛ هذا يا «قاسم» مذكور في كل الكتب السماوية.

- صحيح يا أماه مذكور

- أنت لا تدري عن قدرة «أم غازي» وعلاقاتها بالعالم السفلي؛ فلديها خبرة عشرات السنين في هذا المجال، وقد ورثت خبرتها من أمها، فهي تقوم... امممممم.. أعوذ بالله، كله كفر، هي هي، كل جسمي يقشعر عندما أتذكر ما كانت تعمل في حارتنا وكل تلك الأصوات من بيتها، وكل أهل القدس يعرفونها.

مرت قشعريرة غريبة على جسم أمي، واعترى عينيها خوفٌ لا أراه عادةً في عينيها، فهي كما عهدتها قوية لا تَهاب أي شيء؛ فقد عانت كثيرًا في حياتها، وتكاد جروح وطعنات الحياة تُرَى في قسمات وجهها، وعلى الرغم من ذلك استطاعت أن تَحتفظ بابتسامة ساحرة تشعّ منها المحبة والسماحة والمعرفة.

كنت أقول في عقلي: نعم! أتذكر كل الأمور الغريبة التي كانت تدور حول «أم غازي» وبيتها؛ فعندما كنا صغارًا، شكّل بيتها رُعبًا لمن يمرّ بجانبه من الأطفال.

أتذكر جيدًا عندما قذفنا كرة، ونحن نلعب في الحارة، ودخلت بيتها، ولم يكُن أحد موجودًا فيه، تراهنّا مَن الأشجع الذي يُحضر الكرة من داخل بيتها، وكنت أنا و«مجد» مَن تظاهرنا بمقدار الشجاعة المطلوب، وتسلّقنا سور البيت، ودخلنا إلى ساحته وأحضرنا الكرة بسرعة، بعد أن امتلأت قلوبنا رعبًا من التماثيل والرسومات

الموجودة بحديقتها، وهذا الجو الغريب للبيت.

قلبي يدق بسرعة غريبة عندما أتذكر هذه الأحداث الطفولية، هههه! كيف يؤمن عقل الإنسان بالخرافات؟!

أكملت أمي:

- لن يتدخل أي أحد الآن في موضوع «سمر»؛ فهذا موضوع عائلي والشرطة تتكفل بهم.

أجريتُ بعض المكالمات الهاتفية، ثم استحممتُ واستلقيتُ على سريري، أقرأ كتابًا وأستعد للنوم.

***

بعد يوم من اختفاء «سمر»..

صوت عصافير البلدة القديمة ممزوجًا بمنبّه ساعتي المزعج كانا كفيلين بإيقاظي في السابعة صباحًا، رائحة قهوة أمي التي تعجّ بها غرفتي حثّتني على النهوض من سريري، كانت أمي تجلس على الكرسي، وقد أعدت كأس القهوة، وتنتظر نهوضي من السرير.

- صباح الخير أم قاسم، كيف أصبحتِ؟

- لم أستطِع النوم؛ فصورة «سمر» و«عبير» لم تفارقني طول الليل، ماذا عنك؟ هل نمتَ جيدًا؟

- لقد قرأت بضع صفحات من كتاب، ثم غططت في نوم عميق؛ فقد كنتُ منهكًا من يوم أمس، صحيح! هل وجدوا «سمر»؟

- لا لا، لقد تحدثتُ مع بعض الجارات ولا أثر للبنت، ولكنّ هناك شائعات أن «سمر» غير مخطوفة.

- ماذا تقصدين؟

- تحدثت مع «أم عبير»، وهي تؤكد أن مَن خطف «سمر» هي «أم غازي» أو أحد فتوّات «غازي».

- ولماذا يخطفون ابنتهم؟

- ليُعذّبوا «عبير»؛ لأنها طُلّقت من «غازي»، أو لإرغامها على الرجوع إليه.

- لا أعرف يا أمي! هناك شيء ناقص بالقصة.

رشفتُ آخر رشفة قهوة، ونفخت آخر دخان من سيجارتي، وأخذت أُخرج ملابسي من الدولاب.

- اتصلي بي إذا استجدّ أيّ شيء؛ لأنه يجب أن أذهب إلى العمل.

يستغرق الوصول إلى عملي قرابة الساعة، وأريد أن أخرج قبل أن تشتد أزمات

السيارات.

في ذلك اليوم، اتصلت أمي لتخبرني بآخر المستجدات؛ فكل الجيران توقفوا عن البحث عن «سمر» بعد تأكدهم من أن البنت موجودة مع أهل أبيها، على حد زعمهم، وهناك شائعات كثيرة بخصوص هذه الموضوع؛ منها ما يقول: إن عصابة على خلاف مع «غازي» قد خطفت «سمر»؛ لتسوية حساب قديم؛ فـ«غازي» يدين لهم بمبلغ كبير ويرفض دَفْعه.

عند عودتي من العمل قرابة الساعة التاسعة مساء في ذلك المساء، كان الهدوء كأنني أسير بين بيوت مهجورة، لا أصوات غير أصوات بعض القطط في بعض زوايا الحارة، كان تأثير عودة «أم غازي» إلى الحي قويًّا، وأضف إلى ذلك كل الشائعات التي انتشرت بالحي.

زاد جوعي من رائحة الطعام الذي أعدَّته أمي؛ فقد دخلَت تلك الروائح مباشرةً إلى معدتي عبر فتحات جلدي، وقد عرفتُ مباشرة أنها طبخة المسخن بالدجاج المحمر، فسال اللعاب داخل فمي، أخذتُ حمامًا سريعًا، وارتديت ملابس البيت، وتوجهت إلى الساحة الداخلية في بيتنا، حيث كل الأزهار، وجلستُ مباشرة، وأخذت قطعة من المسخن، وقطعة دجاج يتطاير منها دخان يحمل كل لذة ورائحة ذكية.

قالت أمي بصوت خفيف حزين:

- لقد أعطيتُ «عبير» بعض الطعام، لكنها لم تأكل شيئًا منذ البارحة، لقد أصبح لون وجهها أصفر كأنه حبة ليمون، ولكن لا لوم عليها؛ فمُصابها جلل، يُؤلمني مُصابها.. وقد زارتها الشرطة اليوم لاستكمال التحقيق، ولكن دون جدوى، وفتَّشوا بيت «أم غازي» أيضًا.

كانت أمي تُطلعني على المستجدات وأنا أتناول طعامي، وأعلِّق ببعض كلمات من وقتٍ لآخر، كنتُ أشعر بالألم لحال «عبير»، ولكن هي مَن وضعت نفسها بارتباط مشؤوم مع «غازي».

بعدما شربنا القهوة أنا وأمي، وتحدثنا قليلًا عن نظريات الحي عن اختفاء «سمر»،

رنّ هاتفي النقّال.

- ألو، أهلًا «مجد»! كيف الحال؟

- كيف الحال «قاسم»؟ أنا بخير، ماذا تفعل؟

- لا شيء، تفضل.

- ربع ساعة، وسوف آتيك.

«مجد» من أصدقاء الطفولة المقربين لي، وهو بئر أسراري، وأنا بئر أسراره، وقد خُضنا كثيرًا من مغامرات الطفولة والمراهقة معًا، ونتشارك كثيرًا من الأفكار المتشابهة، لكنه متزوج وله ولدان الآن، أما أنا فكل اهتمامي عملي، أما الزواج فأنا أعمل على ذلك.

أحبّ في «مجد» حبّه للوطن، وشهامته العالية، وحبّه تقديم المساعدة وإخلاصه لأصدقائه.

جلسنا في غرفتي نتناقش في موضوع اختفاء «سمر»، وقد تحدث «مجد» بحرقة عن اختفائها من الحارة؛ فقد اعتبرها إهانة شخصية؛ فعُمر «سمر» قريبٌ من عُمر أولاده، وخَطف «سمر» من الحارة دون انتباه أحد يُثير جنونه.. وبخلافي، فلم يذهب «مجد» إلى عمله اليوم، ولم يستطِع النوم أصلًا.

اهتزَّت الطاولة الصغيرة بقوة بعد ضربة يد «مجد»؛ فهو يمتلك قوة جسدية لا بأس بها، وجسدًا متناسقًا ذا عضلات.

- كيف استطاع أحدهم اختطاف طفلة من حيِّنا دون أن ننتبه؟ كيف؟! كيف؟!

قال «مجد» بغضب.

- يقولون: إن أباها له يد في موضوع اختفائها.

نظرت إلى عينيه وأعطيته كأس الشاي.

- إني أحسدك على أعصابك الحديدية يا «قاسم»؛ فأنا أكاد أُجنّ، فكل مرة يُخيَّل

لي أن أحد أبنائي هو المخطوف، ألا تشعر بالحزن لما أصاب «عبير» على الرغم من كل شيء؟

- أنا نسيت الماضي وتجاوزته، وأشعر بالحزن لـ«عبير»، لكن هذا هو الطريق الذي اختارته.

- وأنت تعرف جيدًا أن الكل نَصحها بعدم الزواج بالكلب «غازي»، ولكن لم تستمع لأحد.

أحسستُ بالدم يتدفق في وجهي وعروقي وفقدتُ سيطرتي للحظات على أعصابي، فأخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن يكمل «مجد»:

- أنت تعلم أن الزواج لم يكُن بكامل إرادتها، و«غازي» يكبرها بـ15 سنة، وهي لم تحبه يومًا واحدًا، أم أنك نسيت مَن «عبير»؟

أشعلتُ سيجارة، وغصتُ للحظاتٍ في ذكريات بعيدة، بعدما عمَّ الصمت، وأشعل «مجد» سيجارة ثالثة من الغصب.

- كيف لي أن أنسى مَن «عبير»؟! إني أذكر جيدًا اليوم الذي أتت فيه مع عائلتها إلى حيِّنا.

كنا في عمر الرابعة عشرة، في عمر الطيش والمغامرة؛ فقد قررنا أنا ومجموعة أصدقاء، من ضمنهم طبعًا «مجد»، أن نذهب إلى مغامرة في قرية سلوان خارج أسوار البلدة القديمة، حيث يوجد في هذه القرية كنز طبيعي مُخبأ تحت بيوت القرية، كان عبارة عن نفق طبيعي يمر تحت جبلٍ عليه القرية؛ حيث شكَّل ينبوعَ ماءٍ قويًا حفر الصخور عبر آلاف السنين، فأصبح نَفقًا من المغارات التي تملؤها مياه عذبة جارية تمتد تحت الجبل الذي تُقام عليه آلاف البيوت في القرية.

كنّا في ذلك اليوم الحار، عند مدخل النفق المعتم، نشعل الشموع لمسيرة تمتد لنصف ساعة مشيًا داخل النفق الذي تجري فيه مياه باردة نقية، تكاد المياه تغطي معظم جسدنا، ونحن نعبر النفق، والضوء الوحيد في هذه العتمة هو شمعة يحملها كلٌّ منا، برودة المياه تنعش أجسادنا في هذا اليوم الحار، وبعد خروجنا من نهاية

النفق، في طرف القرية الثاني المجاور للمنطقة المسماة طنطور فرعون، وقد بللت المياه كل ملابسنا، جلسنا تحت أشعة الشمس حتى تجف ملابسنا؛ فكنا حريصين على ألا يعلم أهلنا بهذه المغامرة؛ فالكبار لا يُحبّذون هذه المغامرة، خصوصًا أن نبع الماء قد يُجَنّ ويُغرِق النفق كله، مع أنه عالي السقف، لكنا كنّا قصار القامة، ومِن ثَمّ العودة إلى بيوتنا بعدما جفَّت ملابسنا، وتستغرق العودة مشيًا قرابة أربعين دقيقة.

في ذلك اليوم، عند وصولنا إلى الحارة، كانت عائلة «عبير» تنقل أثاثهم إلى أحد بيوت الحارة، وقد ساعدناهم طبعًا بإدخال الكراتين وقِطَع الأثاث المختلفة، فهذه مغامرة من نوع آخر طبعًا، كانت «عبير» تبلغ 13 سنة وقتها، وكانت تشبه الصبيان من حيث الملابس والتصرفات، فكانت تنافسنا في نقل الكراتين إلى داخل البيت، فأثار ذلك حنقنا جميعًا؛ فقد كانت عصابتنا للصبيان فقط، ومغامراتنا ليس للبنات قِسمٌ منها..

حتى مباريات كرة القدم والمنافسات، كانت «عبير» بنت الـ13 عامًا تتنافس معنا فيها..

كانت مختلفة عن باقي البنات، تحب أن تقضي معظم وقتها في الحارة، تلعب طول اليوم، وتنافس بشراسة وعدوانية كل الصبية، حتى كسبت مكانًا لها في عصابتنا الصغيرة، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منها، وأضافت نكهة جديدة على مجموعتنا، تشاركنا كل مغامراتنا الطفولية، مثل صيد العصافير، والبحث عن أعشاشها، وتربية الحمام على الأسطح وتبادلها، وغيرها من الألعاب.

مرت السنوات وتغيرت نظرتنا إلى الفتيات، وبدأ اختلاف «عبير» وتغيُّر هواياتها وملابسها الصبيانية التي أصبحت أكثر نضجا ، حتى انتهى زمن المغامرات مع مجموعتنا التي أصبحت مجموعة شباب مراهقين بعد انشقاق «عبير» عنها إلى عالم الفتيات.

كانت «عبير» تُلقي علينا التحية بخجل من وقتٍ لآخر..

أذكر عندما تبادلتُ الكتب والروايات مع «عبير»، التي أدخلتني إلى هذا العالم،

عالم القراءة والقصص؛ فلم يهتم أحد بهذا الموضوع غيري، كنت أقفز من عالمي إلى عالم أوسع أغرب وأجمل بعد كل مرة أقرأ فيها كتابًا.. كانت هذه المرحلة في الوقت الذي بدأت «عبير» فيه بالتحول التدريجي إلى فاتنة القدس؛ فالأوقات التي نقضيها في مناقشة إحدى الروايات هي من أسعد الأوقات التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر، فكل بضعة أيام كانت تزور بيتنا هي وأمها، فلقد كان بيتهم مقابلًا لبيتنا، وشرفته تطل على شرفتنا في الجهة المقابلة من الحي بعد بيتين من بيتي، لقد أحبتني «أم عبير»، وأحبت أمي «عبير» وأمها.

- أين تسرح بأفكارك؟

هزّني «مجد» بيده.

نظرتُ إلى «مجد» كمن عاد من عالم آخر، رددتُ:

- لا شيء. ذكريات قديمة، ماذا تقترح يا «مجد»؟

- لقد كنتَ دائمًا مصدر الأفكار يا «قاسم»؛ لذلك قدمتُ إليك اليوم، كل ما أعرفه أنني أريد أن تعود «سمر» إلى بيتها، وأن يُحاسَب مَن خطفها وروَّعها.

أطفأتُ سيجارتي:

- حسنًا، أنا أيضًا أريد أن أساعد «عبير»، وأن أكون معها في مِحنتها، وأتمنى أن تعود «سمر» إلى بيتها، ولكن إن كان أبوها مَن قام بعملية الخطف، فتلك مشكلة، دعنا نتأكد أولًا، ونسأل كلَّ مَن كان بالحي وقت اختفائها؛ إذا شاهد أحدهم شخصًا غريبًا، أو أحد أتباع «غازي»..

وهناك شيء آخر مهم شغلني وأعتقد أنه سوف يفيدنا.

- ما هو؟! تحدث يا «قاسم».

- اسمع جيدًا، هناك مقهى إنترنت في آخر الحي! إنه يمتلك كاميرا خارج المحل تصوِّر المارة، أعرفُ أن الشرطة أخذت نسخة من تصوير ذلك اليوم، لكن ربما نستطيع مع «عبير» التعرُّف إلى أيّ شخص غريب من أتباع «غازي».

- ممتاز! نعم نعم، فكرة جيدة.. هيا بنا.

- لا لا، الوقت متأخر، وقد أُغلِقَ المقهى، غدًا نذهب مع «عبير»؛ فهي تستطيع التعرُّف إلى أصحاب «غازي».

نهض «مجد» قائلًا:

- حسنًا، إلى اللقاء غدًا، ولكن في أي ساعة سنذهب لتفحُّص تسجيلات المقهى؟

- سأعود غدًا من عملي في الرابعة عصرًا، سأخبر أمي أن تتحدث مع «عبير» ونتفق على الوقت.

- حسنًا. تصبح على خير.

دوَّت عاصفة أفكار في رأسي منعتني من النوم، جلستُ وحيدًا في شرفتي، ما أجمل هذه النسمات التي تنعش الروح والجسد!

أعددتُ كأس قهوة جديدة وجلستُ أفكر، قاربت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل، وكان الصمت يخيِّم على حيِّنا، مصابيح الحي المشتعلة ودوامة الأفكار هي مؤنسي الوحيد هذه الليلة.

حركة خفيفة شدَّت انتباهي.. إنها «عبير»، خرجَت إلى شرفتها، تضم ذراعيها حول جسدها، وتنظر إلى السماء، تصدر عنها تنهيدات حزينة، شاهدتُها دون أن تراني، كنت لا أزال جالسًا في شرفتي، بدت وحيدة كطفل يتيم عصفت به الدنيا إلى النوم وحيدًا في إحدى الطرقات وتكالبت عليه كلاب الشوارع فلم يجد له عونًا غير دعائه لخالق السماوات.

حاولتُ النظر إلى وجه «عبير» محاولًا عدم لفت الانتباه، وجه ملائكي شقَّه خطان من الدموع، واصفر لونها حتى تحول إلى صحراء لا تنبت فيها حياة أو فرح، وغارت عيناها كأرنب اختبأ في جحره مرتعبًا من صقر جارح يترصَّد ليفتك به.

ترددتُ بين أن أعلن عن وجودي فتراني، وأن أبقى في مكاني، التفتتَ إليَّ عندما وقفت، وأصدرتُ صوتًا خفيفًا معلنًا عن وجودي، نظرَتْ إليَّ بعينين زجاجيتين فيهما

قليل من اللوم والحزن والخوف والرجاء، كالخنجر دخلَت نظراتها إلى قلبي مخترقة كل الدروع والحواجز التي وضعتها حول صدري.

رفعتُ يدي ألقي التحية، تجمد الزمن للحظات، نظرت «عبير» إلى داخل عيني، حتى ظننتها لامست روحي، فزاد خفقان قلبي، ولكني لم أُبدِ أيّ انفعال، علّمتني الدنيا أن أجيد التحكم بأعصابي، وأن أُخفي مشاعري عندما أحتاج إلى ذلك.

رفعَت يدها وابتسمت ابتسامة تخللها بعض الدموع، ابتسامة أكثر نقاءً من قطرات الندى، تحدثت عيناها بعشرات الكلمات قبل أن تنطق شفتاها بحرف واحد، مستنجدة وحيدة، كلها ألم وحرقة وقهر.

ابتسامتها تلك، على الرغم من كل آلامها، تكفّلت بإسقاط كل دروعي وهزت كياني فأصابتني في مقتل، أرجعتني تلك الابتسامة الساحرة المصحوبة بالألم إلى ذكريات مضى عليها سنوات.

عندما نامت «عبير» في صِغَرها بمستشفى المقاصد لإجراء عملية الزائدة، قررتُ زيارتها دون معرفة أي إنسان، إلا صديقي «مجد» الذي جلس خارج المستشفى يراقب المداخل؛ خوفًا من زيارة أهلها ومشاهدتي، ابتسمَتْ بحب على الرغم من كل الألم الذي يمر بها، وهي تشمُّ تلك الزهور التي قطفتُها من أحد البساتين؛ فقد كنت في عمر السابعة عشرة، وقد دفعتني العاطفة والمشاعر والشوق إلى اقتحام غرفتها، فقابلتني بتلك الابتسامة على الرغم من كل الآلام.

«كيف حالك؟».. كانت تلك ترجمة الإشارة التي قامت بها «عبير» على شرفتها، على الرغم من كل السنين، فما زالت تذكر اللغة التي طوّرناها لنتحدث بصمت على شُرفتينا، لغة تشابه لغة الصم والبكم، ولكن بمعانٍ نفهمها نحن فقط.

«الحمد لله».. كانت ترجمة للحركة التي أومأتُ بها لـ«عبير».

ودون تحكم مني أعطيتها إشارة «اشتقتُ لك»، ومن ثَمَّ تداركت الموضوع، وبعثت لها إشارة «أنا آسف»، شعرتُ بالدم يتدفق في وجهي؛ فليس الوقت مناسبًا لهذه الجملة.

ردت «عبير»: «أريد أن نلتقي»، «باب البيت»، «الآن».

ظننتُ أن دقات قلبي يمكن سماعها بكل أرجاء البيت، فأخذتُ نفسًا عميقًا، وخرجت لملاقاة «عبير» دون تردد، لم أدرِ كيف نزلتُ الدرجات أو فتحتُ الباب المؤدي إلى الحارة، كل ما أذكره أني كنت واقفًا أمام باب بيتها الخارجي الذي يفصل بيتهم عن حارتنا.

مرت ثوانٍ حتى فُتِحَ الباب، فدخلتُ بسرعة، كان تصميم بيتهم مشابهًا لتصميم بيتنا، فخلف الباب هناك مدخل مسقوف بالقبب، ومن ثَمَّ درجات تأخذك إلى غرف البيت.

كانت العتمة سيدة الموقف في المدخل خلف الباب، تجمَّد الدم في عروقي للحظات؛ فـ«عبير» واقفة أمامي، ويدها ممدودة بالسلام، شعور اعترى كل جسدي عند ملامسة يدي يدها بالسلام.

أومأت لي بأن ألحقها؛ فحديثنا هنا قد يسمعه أيُّ شخص يمر بجانب الباب خارج
Telegram:@mbooks90
الحارة، وجدتُ نفسي بعد لحظة داخل بيتهم أجلس في ساحة داخلية، وكانت «أم عبير» تفرك عينيها؛ فقد أيقظتها «عبير».

ألقيتُ بالتحية على «أم عبير»، فقبّلتني وهي تبكي، ثم اتجهَت إلى المطبخ، وقالت:

- سأعد لكما قهوة.

قلت لها:

- حسنًا.

جلست «عبير» مقابلي، ودون مقدمات وبصوت مرتجف يكاد يكون غير مسموع ذائب بأحماض الأوجاع، قالت:

- «قاسم» أنت تعرف معزَّتك عندي، وأنت تعرف حالي الآن، ولا أريد أن أشق عليك، ولكني بحاجة إلى مساعدتك.

نظرتْ لحظات إلى عينيها فلم أجد الضعف، وجدتْ قوة وتصميمًا وتحديًا، كانت «عبير» عازمة على إيجاد «سمر» بأي طريقة.

- لقد حزنتُ لفقدان «سمر»، وأريد أن أساعدك لإيجادها، ولكن يجب أن أعرف هل الشائعات حقيقية، وهل «غازي» هو مَن دبَّر اختفاءها، وهل تعرف الشرطة بهذه الشكوك!

- الشرطة تعرف بشكوكي، وقد حققوا مع «غازي» في السجن، ومع أمه، لكنهما أنكرا، ولكني متأكدة أنهما هما من خطف «سمر».

- وكيف تأكدتِ أنهما هما اللذان خطفاها؟

- تفضل القهوة.

- شكرًا.

- اتركينا لو سمحتِ يا أمي.

قالت «عبير» لأمها.

- حسنًا.

ثم دخلت إلى غرفتها، فلقد كانت «أم عبير» منهكة القوى.

لا يوجد لي أيّ أعداء، ولا يوجد معي مال حتى يطالبوا بفدية، «غازي» هو الوحيد القادر على خطف «سمر»، فلقد ربحتْ دعاوى حَضانة «سمر» منذ مدة، وطُلّقت منه، وكان طول الوقت يرسل لي تهديداتٍ ووعودًا.

قاطعتْ «عبير»:

- ربما أحد منافسيه؟

- هذا احتمال بعيد؛ فلو كان أحد منافسيه لقامت حربٌ الآن، وسالت الدماء في الطرق، ليس لأن «غازي» يأبه بـ«سمر» أو يحبها، ولكن كان سيعتبرها حرب كرامة ورد شرف ليس أكثر؛ فهو لم يَحتضن ابنته أو يُقبّلها يومًا، بل كان يضربها على الرغم

من صغر سنها في كثير من المناسبات أو عند إحدى نوبات غضبه أو شكره.

كنت أصغي باهتمام لكل كلمات «عبير».

شربت رشفة قهوة، ثم أشعلت سيجارة:

- لكن هذه كلها افتراضات، ولا يستطيع «غازي» إخفاء «سمر» مدى الحياة.

- لقد أرسل «غازي» عبر أمه رسالة إليّ.

- ماذا يريد؟ ما فحوى الرسالة؟

- يريد أن أزوره في السجن، وهذا ما سأفعله غدًا مع أمه، سأعرف ماذا يريد.

- حسنًا، غدًا سنعرف ماذا يريد.

أخرجَت «عبير» جهاز المحمول، واقتربت مني:

- انظر إلى هذه الرسومات.

- ما هذا يا «عبير»؟

خفتُ أن تسمع «عبير» نبض قلبي عندما اقتربَت مني، كأنَّ هناك طبولًا تدق في إحدى غابات الأمازون، فقد جمعتني بـ«عبير» قصة حب رائعة، لكنها انتهت نهاية مأساوية عندما تزوجت بـ«غازي» على حين غرة، لم أعرف أن حبّها لا يزال بهذه الحدة والقوة داخل أضلعي.

- هذه رسوم شعوذة وسحر كنا نجدها في مدخل بيتنا كل مدة من الزمن، لقد ظننتُ أنها لإخافتنا أو من أعمال «أم غازي»، وكنت أمحوها بالماء وقراءة القرآن، ولكن دائمًا كانت تعود.

- أنتِ لا تؤمنين بهذه الترهات يا «عبير»؟ ربما هي لإخافتكم ليس أكثر، ولا أظن أن للرسومات أيّ علاقة باختفاء «سمر»، وربما فعلًا هي من ترهات «أم غازي» لإرعابكم.

- هذا ما كنت أظنه أيضًا، ولكن انظر إلى الرسومات مرة أخرى، انظر إلى المكتوب في مركز الرسومات.

نظرتُ إلى رسومات غريبة الشكل، كنت قد قرأت عنها؛ فهي رسومات لاستحضار الجن والسحر والشعوذة، وقد كانت ممتلئة بكلمات غريبة ورسوم وإشارات غير مفهومة، ولكن في منتصف كل رسمة كان اسم «سمر» مكتوبًا، لكن بصورة معكوسة «رمس».

أخذت أتمعن في كل الرسومات دون أن أنطق بكلمة.

- لقد ارتعبَتْ أمي في كل مرة كانت هذه الرسومات تظهر فيها على أحد الجدران؛ فهي مرسومة بالدم، وكنت أزيلها بعد تصويرها كدليل ضد «أم غازي»، لكن الشرطة لم تأبه بالرسومات، وقالوا: إنها مجرد خزعبلات.

- وما معنى هذِه الرسومات حسب رأيك؟

- أم «غازي» هي من كانت ترسمها، ربما للتخويف، وربما كنوع من السحر الأسود التي تتقنه، غدًا سوف أعرف ماذا تريد هي وابنها عندما أزوره في السجن.

أخذتُ أفكر بصمت.

- لهذا أنا أريد مساعدتك، لقد فتّشت الشرطة بيت «أم غازي» هنا في البلدة القديمة وبيتها في كفر عقب، ولكني أعرف أن لدى «أم غازي» بيتًا آخر في منطقة دورا المجاورة لمدينة الخليل، تقوم «أم غازي» بأعمال السحر والشعوذة في هذا البيت.. حيث يحضر كل من يريد أحجبة أو أعمالًا للتفرقة أو استحضار الشياطين، أو أي عمل له علاقة بالسحر إلى بيتها هذا، وكله طبعًا مقابل المال، ولكني لا أعرف أين هذا البيت بالتحديد؛ فلم أذهب إليه يومًا، ولكني متأكدة أن البيت بمنطقة دورا، وكانت تستخدم اسم الشيخة لمن يريد لقاءها، وأنا أظن أنهم قد خبّؤوا «سمر» في هذا البيت.

- ماذا تقترحين؟

- أريد أن تبحث عن بيتها في دورا، ثم تفتش البيت، وأن تجد «سمر»، تقضي «أم غازي» كثيرًا من الوقت في هذا البيت، ولكن غدًا سوف تذهب معي إلى السجن لمقابلة ابنها.

وبصوت فيه رجفة، أكملَت:

- هل تستطيع أن تساعدني في هذا الأمر؟

دون تردد قلت لها:

- طبعًا سأذهب غدًا باكرًا للبحث في دورا عن بيت الشيخة، مدعيًا أن أحد أفراد الأسرة قد مُسَّ من الجن والسحر، وأنني أريد الشيخة للمساعدة، وسوف أجد بيتها بإذن الله.. امممم، ولقد كان «مجد» في بيتي، وقد أعرب عن رغبته في مساعدتك في إيجاد «سمر»، وأريد أن أشركه في هذا الأمر؛ فلديه معارف كثر، وأنت تعرفين «مجد»، فهو شهمٍ وأهل للثقة.

هزت رأسها، وأخذت نفسًا كأنَّ الروح أخيرًا رُدَّت إليها، نعم نعم.. افعل ما تراه مناسبًا، و«مجد» رجل شهم.

تبادلت مع «عبير» أرقم الهاتف ، ثم قلتُ:

- تصبحين على خير، سأقف بجانبك حتى نجد «سمر».

فنظرَتْ إليَّ، وكادت تتفجر من عينيها أنهار من الدمع.

- تصبح على خير، وانتبه لنفسك غدًا، وأخبرني بكل التفاصيل فورًا. أرجوك.

خرجتُ من بيت «عبير» واتجهت إلى بيتي، وفور وصولي إلى غرفتي اتصلت بـ«مجد» مباشرة.

- سلام «مجد».

- أهلًا «قاسم»! ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟!

- نعم نعم، حدث تطور بقصة «سمر»، وأريد أن تساعدني.

- أنا معك! ماذا تريد؟

- لقد تحدثتُ مع «عبير»، وهناك احتمال أن بنتها موجودة ببيت جدتها في منطقة دورا، وهي تريد أن نساعدها بإحضار ابنتها، هل أنت معنا؟

- طبعًا طبعًا، كيف؟ ومتى؟

- غدًا الساعة الثامنة صباحًا، تعال إلى بيتي، وسأخبرك كل التفاصيل، ونخرج معًا.

- حسنًا حسنًا، ممتاز، تصبح على خير.

استلقيتُ على سريري، وأخذت أفكر دون توقف لأكثر من ساعتين، وأنا أنظر إلى سقف غرفتي.

قبل صوت المنبه بدقائق كنت واقفًا على قدميّ أحضّر ملابسي للخروج، صوت الجرس يدق، لا بُدَّ من أنه «مجد»، لقد حضر قبل الوقت، لا بُدَّ من أنه متحمس لإيجاد «سمر».

خرجتُ من غرفتي واتجهت للباب الخارجي.

- صباح الخير! تفضل يا «مجد».

شعلة الطاقة التي تخرج من «مجد» ذلك الصباح يمكنها إضاءة قرية كاملة.

- صباح الخير يا «قاسم»، هيا جهز لنا كأس قهوة، وأخبرني بكل التفاصيل.

- هيا معي إلى المطبخ، سوف أخبرك بكل شيء وأنا أُعِدّ القهوة.

دخلنا المطبخ وأخذت أملأ إبريق القهوة بمياه الصنبور، وبدأت أحدّث «مجد» عن لقائي «عبير»، وعن شكوكها بـ«أم غازي»، وعن بيتها في منطقة دورا، واحتمال وجود «سمر» في هذا البيت.

- هل تعرف أين هذا البيت بالتحديد؟

سأل «مجد» باهتمام.

- لا نعرف، ولكن لا بُدَّ من أن يعرف أحدهم بيت الشيخة كما تدعو «أم غازي» نفسها.

- حسنًا حسنًا، سأذهب إلى البيت لأحضر بعض الأشياء التي قد نحتاج إليها، وأنت أتم لبسك واستعد، سأعود بعد قليل.

أخذ «مجد» كأس القهوة بيده ليكملها في طريق العودة إلى بيته ليحضر الأدوات كما أخبرني، «مجد» خبير في اقتحام البيوت والأقفال، لكنه لم يستخدم هذه الموهبة والخبرة إلا في اقتحام بيوت المستوطنين؛ حيث كان يَعتبر أن سرقة السارق حقّ، وعلى الرغم من أنه توقف عن هذا العمل منذ سنين، فأنا لا أشك في أنه يحتفظ في بيته بكل ما يحتاج إليه لاقتحام أي بيت.

غيَّرت ملابسي وسرَّحت شعري، وانتظرت دقيقة حتى قرع «مجد» الجرس.

كان بيده شنطِة صغيرة، كأنها شنطة مدرسة لطفل قديم، كأنها خُصصت لأدوات العمل.

قلت له:

- هيا بنا.

في طريقنا من حارة السعدية اتجهت أولًا إلى أحد الأفران التي تعمل بالحي؛ حيث يوجد في حيّنا فرن حجري عمره مئات السنين يخبز أصحابه الكعك المقدسي المشهور، نزلت بضع درجات، ودخلت هذا الكهف الحجري الذي يؤدي إلى فرن مبني من الصخر يُستخدم لخبز الكعك المقدسي بالسمسم والخبز والصفيحة وأقراص البيض، وأيضًا لإعداد الولائم لأهل المنطقة حسب الطلب.

اشتريت بضع كعكات، فلقد كانت رائحتها الزكية تشع بالحي، وقد أدخلَت الجوع في نفسي.

أخذنا نأكل الكعك ونحن نتحدث عن أمور مختلفة ليست لها علاقة بـ«سمر»، فلم نُرد أن يعرف وجهتنا أي إنسان.

خلا الحي من المارة إلا بضعة عمال متجهين إلى وظائفهم أو وِرَش عملهم، وكانت أصوات زقزقة العصافير هي التي تسيطر على الأجواء، أضف إلى ذلك رائحة الكعك والمخبوزات من أفران القدس التي تعمل على الحطب.

عند خروجنا من باب الساهرة، وهو الباب الأقرب إلى حيّنا، ويقع على الجدار الشمالي لسور المدينة القديمة، قال «مجد»:

- أين سيارتك؟

- إنها في شارع الزهرة على مسافة خمس دقائق مشيًا من باب الساهرة.

عبرنا شارع صلاح الدين المؤدي إلى شارع الزهرة؛ حيث ساد الصمت بيننا، فلم نرد أن يسمع أي إنسان كلمة من حديثٍ قد نُجريه بيننا.

وعند دخولنا إلى سيارتي، أخرج «مجد» هاتفه، وأخذ يجري مكالمات لبعض معارفه يسألهم عن بيت المدعوة الشيخة، متظاهرًا بأن أحد أبناء عمومته قد مسّه الجن، وقد أخبروه عن قوة الشيخة وبركاتها، كان كل الأشخاص الذين اتصل بهم «مجد» غرقى بالنوم، وقد أصر «مجد» على إيقاظهم وسؤالهم جميعًا، لا أظن أنهم يعملون في وظيفته أو في عمل يتطلّب الاستيقاظ باكرًا.

- حسنًا، لقد عرفتُ في أي شارع موجود بيت الشيخة.

- هههه.

ضحكتُ لسرعة «مجد» في الحصول على المعلومات.

- كان الأفضل أن تعمل في المخابرات يا صديقي! هههه.

- هههه، لو كان لدينا دولة ربما عملت بالمخابرات، فكل شيء يبتدئ وينتهي بمعارفك وأصدقائك يا صديقي.

كان «مجد» من الأصدقاء الذين يُعتمد عليهم، بالإضافة لكونه شهمًا وكريمًا، فقد كان كثيرون يدينون لـ«مجد» بالمعروف، وكان له معارف وأصدقاء كثر، فقد كان لديه موهبة بكسب الأصدقاء في كل مكان يوجد به.

استغرق الطريق إلى منطقة دورا قرابة الساعة في السيارة، ما أجمل الخليل والقرى المحيطة به، وكل هذه الحقول الخصبة ومحاصيل العنب والخضراوات على أطراف الطريق! ما أنقى هذا الهواء القادم من الجبال والسهول! جنات من الأشجار والمزروعات في هذه الأراضي الخصبة، دورا لها اسم كنعاني قديم قدم الزمن ويعني «مسكن»؛ حيث أقام فيها الكنعانيون قبل 5000 سنة، يسكنها ما يقارب 38 ألف نسمة، وتبعد مسافة 7 كم عن مدينة الخليل العريقة، و35 كم عن مدينة القدس، تشتهر منذ العهد الروماني بكروم العنب، ولها تاريخ عبر العصور من الكنعانيين والفرس ثم الرومان، وغيرهم.

دخلنا مدينة دورا، واتجهنا مباشرة إلى المنطقة والشارع الموجود به بيت الشيخة.

ولأننا لا نعرف بالتحديد أين بيتها، دخلت إلى بقالة موجودة في المنطقة التي يُفترض وجود بيت الشيخة فيها:

- السلام عليكم، أريد علبة دخان أحمر.

- تفضل، بخمسة وعشرين.

- شكرًا، أريد أن أسألك، إني أبحث عن بيت الشيخة، هل يمكن أن تدلني عليه؟

- هذا حرام، لماذا لا تفهمون؟ هذه خزعبلات، وأيّ حديث مع هذه الساحرة كفر بالدين.

خرجتُ من محل البقالة؛ نحن في المكان الصحيح لنسأل شخصًا آخر.

أخذنا نتسكّع بالمنطقة حتى وجدنا فتى:

- لو سمحت، أين بيت الشيخة؟

- امممم.

- لا تقلق.. أين؟

- في آخر الشارع هناك حقل، اعبره على الأقدام، وهناك يوجد بعض البيوت، في أحدها شجرة لوز كبيرة مزروعة قريبًا من باب البيت.

- شكرًا.

تركتْ السيارة بعيدًا عن الطريق غير المعبّد الذي يقسم حقلًا كبيرًا إلى قسمين، أصوات الحصى الذي ندوس عليه كأنها شباك عنكبوت داست عليها نحلة تعيسة الحظ تقاوم، وكلما قاومت أكثر اقتربت من بيت العنكبوت أكثر وأكثر، تبدو البيوت كأنها من عصر آخر، كمن عاد بالزمن مائة سنة بعيدة عن الحضارة بشرورها، أشجار متفرقة، حقول مزروعة، بيوت محاطة بجدران من سلاسل الحجارة تبدو كتحفة فنية دمجت صنع الإنسان والطبيعة، يتمنى المرء أن يعيش حياته بأحد هذه البيوت وحدائقها.

وكزني «مجد» بيده:

- لا بُدَّ من أنه ذلك البيت؛ فهو البيت الوحيد الذي توجد شجرة لوز في مدخله، وهو على خلاف كل البيوت محاط بسياج سلكي فوق السور المحيط بالبيت وحديقته.

- لا بُدَّ من أن نتأكد قبل دخول البيت، دعنا نسأل أحدًا من الجيران.

قرعنا أحد البيوت:

- السلام عليكم، أين بيت الشيخة؟

أشار بيده دون أيّ كلمة.

كان هو البيت الذي شككنا به.

ذهبنا إلى البيت فوجدنا جرسًا خارجيًا ضغطنا عليه عدة مرات دون إجابة.

تلفتنا يمينًا ويسارًا، فلم نجد مَن يراقبنا، فتسلقنا الباب الحديدي وقفزنا إلى مدخل البيت، ثم اتجهنا بسرعة للاختباء داخل الحديقة تحت إحدى الأشجار، وأخذنا نراقب المنطقة للتأكد من أن أحدًا لم يشاهدنا.

- حسنًا. افتح لي باب البيت، سأدخل أفتش البيت، وأنت راقب المدخل.

خاطبت «مجد» بصوت منخفض.

كانت الآلة التي استخدمها «مجد» لفتح الباب عبارة عن قطعة معدنية أدخلها في مدخل المفتاح، وبعد بضع حركات فتح الباب بكل سلاسة.

- سأجلس تحت الشجرة أراقب، توكل على الله.

دخلتُ بهدوء محاولًا عدم إصدار أيّ ضجيج على الرغم من معرفتي بعدم وجود أي شخص بالمنزل، بدأتُ تفتيش الغرف واحدة تلو الأخرى، أنا متأكد من وجود أدلة على تعامل «أم غازي» بالسحر والشعوذة، ولكن كل شيء يبدو طبيعيًا، هل أخطأت كل مكان أفتشه، كل رفّ، كل خزانة، كل ركن.. لا أثر لشيء مشبوه.

ولكن ما هذا؟ في إحدى الغرف هنالك، نعم باب مخفي خلف ستارة وهمية، يالَهُ من باب حديدي محكم الإغلاق صغير الحجم.

خرجتُ من البيت، وناديت «مجد»:

- لقد وجدت بابًا حديديًا مغلقًا، تعال وافتحه.

- أكيد أن «سمر» وراء الباب يا «قاسم».

- لم أسمع أي صوت، ولكن يجب أن نفتح الباب لنعلم ما خلفه، فربما «سمر» قد خُدرت! لا أدري، فقط افتح الباب، قفل ضخم بالإضافة إلى مدخل المفتاح.

يبدو أن هذا الباب أقوى من الباب الرئيس للبيت؛ فقد أنهك الباب «مجد»، وأخذ العرق يتلألأ على جبهته، حتى ظننتُ أنه لن يستطيع فتحه.

Telegram:@mbooks90

أخذ «مجد» بضعة أنفاس بعدما أُنهِك، ثم عاود الكَرَّة مرة أخرى، حتى سمعنا أخيرًا صوت الباب يُفتح.

انحنينا حتى نستطيع الدخول من الباب.

بضع درجات في ممر صغير ثم الغرفة، كانت الجدران مطلية باللون الأسود، لم أستطِع رؤية شيء؛ فقد عمَّ الظلام الحالك الغرفة، فقد كانت دون شبابيك، وأخذتُ أبحث عن مفتاح الإضاءة حتى وجدته.

لم أرَ في حياتي غرفة قد ظُليت بدهان أسود، عظام في كل الزوايا، كانت تنتصف الغرفة طاولة مستديرة، وكانت عليها أقفال وبعض ألعاب الأطفال، وقد شُوِّهت وأُدخلت فيها مسامير، وجلود حيوانات.. وهناك صورة لرجل وامرأته، وقد كُتبت بضع عبارات على الصورة.

أوراق قد رُسمت عليها رسومات السحر والشعوذة، أحجبة معلقة بكل مكان، بضعة حيوانات محنطة، وبعض الجماجم.

فتح «مجد» خزانة صغيرة موضوعة بإحدى زوايا الغرفة، كانت تحتوي على مجموعة كتب قديمة، ورسوم وطلاسم وعبارات تملأ الكتب.

- هذه كتب السحر.

أخذتُ أصور كل شيء بهاتفي.

- إذًا «سمر» ليست هنا.

قال «مجد»، وقد خاب ظنه.

كنت أصور الكتب عندما دوَّى صوت قوي، تجمدت أطرافي، وشاهدت الذهول على وجه «مجد».

ركضنا نحو باب الغرفة، وقد جفت الكلمات في حلقي، هناك مَن أغلق الباب علينا.

- يا لص يا ملعون! ستأخذ جزاءك.

صوت رجل غليظ من وراء الباب.

- افتح.. افتح.

صاح «مجد» وهو يحاول فتح الباب دون جدوى، لقد أُغلق الباب من الخارج.

تجمّد دماغي للحظات، ودبّ الرعب في جسدي، لقد أصبحنا كفأرين بمصيدة.

كيف وقعنا في هذا الفخ؟ لماذا تخلّينا عن حذرنا؟!

عمّ الظلام فجأة، أكاد لا أرى يدي، اللعنة.. لقد قطع الكهرباء عن الغرفة.

بعد قليل، عاد الرجل من خلف الباب:

- سترى ماذا سنفعل بك.

ثم ساد الصمت.

- اللعنة! من أين أتى؟ كان يجب عليّ أن أعود إلى المراقبة وأترك الغرفة.

أخذت أحاول استجماع أفكاري، همست لـ«مجد»:

- لقد قال: لصٌ، لا لصوص.. إنه يظن أننا شخص وليس شخصين.

مرت عدة ساعات ولم يأتِ أي إنسان إلى الغرفة، وكانت هواتفنا دون شبكة، فلا نستطيع الاتصال بأحدهم.

- لن يجلب الشرطة؛ لأنه سوف يتورّط بسبب محتويات الغرفة، إذًا من الممكن أنه سيبلغ «أم غازي»، ومِن ثَمَّ سيحضر فتوة «غازي»، ولا ندري إن كانت نهايتنا هي القتل أو ضربًا مبرحًا، لكننا سنقاوم للنهاية.

كنا نتهامس أنا و«مجد» بعد أن أفقنا من الصدمة.

كان أحدهم يتفقد باب الغرفة كل مدة.

غضبت جدًا من نفسي، كيف وقعت بهذه الورطة.

بدأت أشعر بأن الهواء بدأ ينفد من الغرفة، وأخذ العرق يسيل على جبهتي وضيق النفس يشل رئتي، كأني في قبر وقد أُغلق عليّ.

عمّ الصمت في الغرفة.

- «مجد».. كيف حالك؟

- لم يسبق لي أن وقعت بفخٍّ مثل هذا، حتى السجن لم يكُن مثل هذا.

- ما هذا؟ كأني شعرت بحركة بالغرفة، باسم الله!

قال «مجد».

- لا يوجد شيء، اهدأ، هذه أوهام، لا أحد غيرنا هنا.

- باسم الله! هذه غرفة للسحر الأسود، اللعنة، كيف لا أقلق؟!

- لنخفِ وجوهنا عندما يفتحون الباب ثم ننقض عليهم، فهم يظنون أننا شخص واحد.

- ولا نتحدث بأسمائنا.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً، وقد مضى على حبسنا قرابة عشر ساعات.

أعمت الأنوار عيني للحظات عند عودة الكهرباء للغرفة فجأة، أشرت إلى «مجد» لنستعد.

اختبأ «مجد»، ووقفتُ أنا مقابل الباب في منتصف الغرفة.

فوهة المسدس هي أول ما رأيت، ثم ذلك الجسد الضخم ينزل الدرجات بتثاقل.

كان وجهه ممتلئًا وعيناه تشعّان خبثًا وشماتة وثقة.

كنت متمددًا على الأرض متظاهرًا بالاستسلام، يداي فوق رأسي وعيناي تراقبان.

عند دخول الرجل الغرفة، أطفأ «مجد» النور وفاجأ الرجل وهجم عليه، انطلقت رصاصة عفويًا من المسدس، أخذ الرجل يقاوم «مجد»، فنهضتُ بسرعة وهاجمته أيضًا وأخذنا نتعارك.

- الباب! الباب! هناك شخص آخر يريد إغلاق الباب.

تحرك «مجد» بسرعة ناحية الباب لمنع إغلاقه، وبعد دقيقة عاد إليّ، كنتُ قد طرحتُ الرجل أرضًا، فصوتُ نفَسه الذي يكاد ينقطع وصوت ارتطامه بالأرض كانا كفيلين بتهدئته.

أضاء «مجد» النور من جديد، وأراد أن يهجم على الرجل الذي كنت أجلس فوقه.

- المسدس، أحضره.

كان المسدس قد وقع من الرجل في أثناء العراك.

أحضر «مجد» المسدس، وقال للرجل:

- هيا، قُم فورًا.

أخذ يحاول التقاط أنفاسه:

- حسنًا! لا تطلق النار. أرجوك.

- لنخرج من الغرفة فورًا.

خرجنا ثلاثتنا من الغرفة، تنفست الصعداء عندما خرجت من باب الغرفة كأني وُلدت من جديد.

- مَن هذه؟

كانت خارج الباب امرأة ضخمة الجثة ملقاة على الأرض مغمى عليها.

- هذه «أم غازي»، ضربتها عندما أرادت إغلاق الباب من جديد فأغمي عليها.

- الآن أخبرني من أنت!

صحتُ بالرجل.

- أنا.. أرجوك لا تضربني، أنا جار «أم غازي».

دفعته بقوة:

- لا تكذب، سأقتلك معها، كيف لجارها أن يدخل البيت ويغلق الباب؟! تحدث.

- أرجوك، أنا زوجها، نعم.. لقد تزوجتُها بالسر، وأنا أيضًا أسكن بالبيت المجاور.. لم تُرِد أن يعلم ابنها «غازي» بزواجها، فيغضب ويتعدى عليّ، أرجوك.. هذه هي الحقيقة.

- حسنًا، وماذا تعلم عن «سمر»؟

صاح «مجد».

- أقسم بالله، لا أعلم شيئًا غير ما قالته «أم غازي» من أنها قد خُطفت.

- وماذا تعلم عن السحر؟ تحدَّث!

صحتُ بصوت عالٍ.

- أم «غازي» تُعدّ كل شيء، ليس لديَّ أيّ خبرة في هذا المجال، أنا أراقب البيت عندما لا تكون «أم غازي» موجودة، وقد لمحتُ أحدهم يدخل البيت فأحضرت مسدسي ودخلت خلفه، ثم أغلقتُ الباب عندما وجدته بالغرفة الخاصة بـ«أم غازي»، فلقد كان ممنوعًا عليّ دخولها إلا بإذن، ثم اتصلت بـ«أم غازي» وأخبرتها عن لصّ قد أسرته بغرفتها فجُنَّ جنونها، وقالت: لا تفتح حتى أرجع إلى البيت.

- انظر إلى الأرض.

خاطبتُ الرجل الذي حاول معرفة وجهي؛ فلثامي قد كُشف قليلًا.

- أنا أعرفك جيدًا، وأعرف أين تسكن، لن تتحدث عن موضوع «سمر» لـ«أم غازي»، وإلا سأحضر لبيتك في المرة المقبلة، هل تفهم؟! ثم سأفضح سرك لأولادك ولـ«غازي»، هل تفهم؟!

- نعم، لن أتفوه بكلمة.

- سأتركك؛ فلم نجد ما يستحق السرقة في هذا البيت، هذا ما ستقوله لـ«أم غازي».. مفهوم؟

- حاضر، سأفعل.

نظرتُ إلى عينيه ولغة جسده، كان صادقًا، لن يخبر أحدًا.

- إذًا، وداعًا.

خرجنا بسرعة من البيت، وألقيت المسدس في حاوية القمامة، بعدما أزحت اللثام عن وجهي، اتجهنا إلى السيارة ثم انطلقنا بسرعة.

أخذنا نحاول التقاط أنفاسنا في السيارة، لقد نجونا بأعجوبة، ولم يتعرَّف إلينا أحد.

قال «مجد»:

- لم أجد أدواتي عند الباب.

- لقد تذكرت الآن، الأدوات والحقيبة، هل هناك ما يدل عليك من الحقيبة؟

تحدثتُ بسرعة.

- لا، لا تقلق.

حلقي جافٌ كصحراء لم تشهد المطر منذ سنة، لكني لم أُرِد التوقف قريبًا من المنطقة.. قدتُ السيارة أكثر من نصف ساعة، ثم توقفت في أحد محلات البقالة، اشتريت بعض الماء والعصائر.

- كيف أغمي على «أم غازي»؟

سألتُ «مجد».

لقد ضربتُها بقوة على رأسها؛ فقد كانت تحمل سكينًا وكادت تطعنني.

رنات بلا توقف تصدر من هاتفي بعدما عادت الشبكة.

أخذ «مجد» يتفقَّد رسائله وكل المكالمات الفائتة، ثم اتصل فورًا بزوجته وطمأنها.

- أريد أن تقود السيارة بدلًا مني، يجب أن أُجري بعض المكالمات.

أخبرتُ «مجد» عندما أوقفتُ السيارة على جانب الطريق.

- كنت عند صديق في الخليل، لا تقلقي، أنا قادم، لم تكن في منطقته شبكة محمول، حسنًا يا أمي، لن أتأخر.

على الرغم من عمري هذا؛ فالأم تبقى أمًا، قلبها قَلِق معطاء كريم بغير حدود، تعطي كل عمرها لإسعاد أطفالها دون أيّ مقابل، ودون أيّ حدود.

- لقد عانت أمي كثيرًا عندما قررتُ الرحيل إلى منطقة تل أبيب والعمل والحياة فيها.

في ذلك اليوم الذي شاهدت فيه «عبير» ممسكة بيد «غازي» في حيّنا تضحك وجسدها يلاصق جسده، وقد مضى على خطبتهما يوم واحد، كنت أظن أنها أُجبِرت على الزواج به، فقد تخيلتها تفر في ليلة كتب الكتاب، وتهرب معي إلى بلاد بعيدة، كم كنت أبلَه، وكم كانت سنوات الحب تلك مجرد أكذوبة كبيرة، مشاعر الغضب والإهانة وخنجر الغدر يشقّ طريقه ببطء نحو قلبي بنصله الصدئ البارد، يصيب بالشلل كل أطرافي وأعصابي، ملقيًا جسدي إلى نيران الحقد، وروحي إلى الجحيم الأبدي؛ فقررت الفرار إلى بلد آخر لا يُذكّرني بـ«عبير» وخيانتها، ولا بـ«غازي» وقدرته على هدم أحلامي وسرقة محبوبتي بهذه النظرات الخبيثة والوجه الذي امتلأ بالحقارة، ضحكته المستفزة عندما لطم أحد الأطفال بقوة جعلته يئنُّ ببكاء المظلوم، وأدخلت ضحكات الضباع على شفتي «غازي»، الشفتين اللتين جففهما كثرة الدخان والمخدرات، خمس سنين قضيتُها في تل أبيب تخللتها زيارات أسبوعية لأمي.

كانت مكالمتي الثانية لـ«عبير».

- سلام، كيف الحال؟

- أين أنتما؟ هل وجدتما «سمر»؟ لماذا لا تردان؟ هل «سمر» معكما؟

تحدثَت «عبير» بانفعال شديد.

- للأسف لم نجد «سمر»، نحن بخير، سأخبرك بالتفاصيل عند عودتنا، لا تبكي! إن

شاء الله سنجدها، هذا وعد مني، سنجدها، سنتحدث بعد ما يقارب نصف ساعة، نحن قادمان، إلى اللقاء.

بعد التدقيق في أوراقنا وتفتيش مركبتنا في الحاجز العسكري الإسرائيلي الموجود قبل دخولنا إلى حدود مدينة القدس، وبعد خروجنا من نفقين في هذا الطريق، تلقيتُ مكالمة أخرى من «عبير».

- أنا آسفة لانفعالي، هل أنتما بخير؟ ماذا حصل؟ لقد قلقنا عليكما جدًا.

كانت نبرتها هذه المرة أكثر هدوءًا، وقد سيطرَتْ على أعصابها.

- نحن بخير، سأخبرك بكل التفاصيل عند عودتنا، لقد فتَّشنا بيت «أم غازي» ولم نجد أثرًا لـ«سمر»، كل ما وجدناه كانت غرفة سرية لممارسة السحر، واكتشفنا بعض الأمور. سأخبرك بكل شيء عند عودتنا.

- حسنًا، شكرًا لكما، وانتبها بطريق العودة. إلى اللقاء.

- أريد أن أعرف كل ما حصل في لقائك مع «غازي»، وماذا قال لكِ عند عودتنا، إلى اللقاء.

أغلقتُ الهاتف.

يمكنني قراءة وجه «مجد» الغاضب؛ فعودته دون «سمر» تجرح كبرياءه، وتُشعره بقليل من الضعف والحيرة.

- هل نسيت شعاراتك في الحياة؟!

خاطبتُ «مجد».

- هل تذكر خُطبتك عندما أنهينا المدرسة الثانوية؟! لقد ألهمتني يومها.

ابتسم، وردد خطبته مرة أخرى:

- ليس بالضرورة أن تحمل الشهادات لتنجح بالحياة..

قد تساعدك الشهادة في بداية الطريق..

ولكن للأسف، نقضي معظم حياتنا في المدارس سنةً بعد الأخرى.. سنوات نقضيها في حفظ مواد ننسى معظمها في السنة التالية..

للأسف.. فكل سنوات المدرسة لا تُجهّزك للواقع وللحياة..

وبعد المدرسة هناك الجامعات وبعدها الشهادة..

ويقال الآن ستبدأ بتعلم كيف تعيش..

أظن أنه قد حان الوقت لتغيير نظام التعليم، وتهيئة الطلاب للحياة، وليس لتهيئتهم لامتحان سوف ينسونه بعد ساعات قليلة.

لذلك يصدمنا واقع الحياة بعد التخرج؛ لأننا غير مستعدين.

الآن حان وقتِ الاستعداد، حان وقت الأمل والعمل الجاد وكسر الحواجز.

ربما جرى إلقاؤنا في مياه بحر الحياة الهائجة التي لا ترحم مَن يستسلم.. ولكننا نرفض الاستسلام، وسنظل نسبح ونقاوم حتى نصل إلى جزر النجاح، إذا أُحرِقت مزرعتك فلا تقضِ بقية عمرك في البكاء واللوم، بل استخدم الرماد سمادًا لبذور جديدة..

هههه، هذا ما أذكره، لقد كان يومًا مميزًا.

- حسنًا! هذا يكفي، لن نستسلم يا «مجد».

- سنجد «سمر»، نعم، لنذهب إلى «عبير»، ونعرف ماذا قال «غازي».

زُدّت الروح القتالية لـ«مجد»، وارتفعت معنوياته من جديد.

اكتفى «مجد» بالمرحلة الثانوية في الدراسة، ثم اتجه للعمل في مجال الألومنيوم، فقد كان يؤمن أن الحِرَف اليدوية أفضل من الشهادات الجامعية، على الرغم من أن وضع أهله المادي جيد، ويدعم أي دراسة جامعية، لكنّه فضّل أن يعمل ويشق طريقه بنفسه في الحياة، وكانت مصادرة أراضيهم لمصلحة إحدى

المستوطنات دافعَهُ لسرقة بيوت المستوطنين بين حين وآخر، فلم تكُن تلك السرقات بهدف المال بل بهدف الانتقام ورد الاعتبار بالنسبة له، وكان شعاره: سرقة اللص ليست سرقة.

عشاء فاخر كان ينتظرنا عندما دخلنا بيت «عبير»، وقد كانت أمها وأمي في انتظارنا.

أطفأنا نار الجوع، وأشعلتُ سيجارتي، وجه «عبير» يراقبنا بفضول لمعرفة تفاصيل اختفائنا طول اليوم، فبدأتُ بسرد أحداث اليوم، وخيّم على وجوههن الذهول عند معرفتهن باحتجازنا ونجاتنا من غرفة السحر تلك، لم أكن يومًا ممّن يقصُّون قصص مغامراتهم، لكن توجّب مشاركة كل التفاصيل في وضعنا هذا.

- والآن، أخبريني بحديثك مع «غازي» بالتفصيل.

- أخذتني «أم غازي» في الصباح الباكر، وانهالت عليّ بتحذيرات كثيرة، بعدم شتم «غازي» أو إغاظته في سجنه، وعن وجوب الإصغاء لأوامره.

ارتعد كل جسدي، وظننت أن ساقيّ لم تعودا قادرتين على الوقوف عند عبورنا بوابات السجن المتعددة، وبعد تفتيشنا الدقيق ودخول عدة أبواب حديدية تؤدي إلى غرفة مقابلة المساجين، جلسنا ننتظر وصول «غازي»، بدت لي دقائق انتظارنا ساعات، وعلى الرغم من وجود المكيفات فإن العرق أخذ يهطل من جبيني.

نظرات «غازي» الحقود عندما جلس مقابلنا اخترقتني كسهم مسموم، صمتَ بضع ثوانٍ وهو يحدّق بحقد واحتقار، ثم انهال عليّ بالشتائم، وقال:

- إن اختفاء ابنتي مسؤوليتك ونتيجة إهمالك، وستدفعين ثمن هذا الإهمال.

أخذ الدم يتدفق في شراييني من جديد، ووجهي الأصفر أخذت حمم الدم تملؤه وكالبركان انفجرت، وقلت له بكلمات كلها غضب:

- لقد أهملتَ ابنتك طوال سنين، وغصتَ في عالم الجريمة والمخدرات، لقد فقدتَ ابنتك منذ زمن بعيد ولم تهتمّ لذلك؛ فأنت لم تحبها أو تعطف عليها يومًا، «سمر» لا

تذكر حتى شكل أبيها، لقد فقدت الرجل الذي من المفروض أن يحبها ويحميها، فقدت الحب الأول لكل بنت، فقدت السند والأمان قبل أن تفقد أسنان الطفولة.. لقد روّعتَ وسرقتَ وحرقتَ وتاجرتَ بالمخدرات، لا بُدَّ من أن أحد أعدائك هو من خطفها، أو ربما شخص يريد الانتقام منك، لقد حرمت ابنتك من دور الأب الذي هو حقها عليك، فلا تُلقِ باللوم عليّ، وساعدني على إيجادها.

لا أدري من أين دبت فيّ القوة، كدُبٍّ وحشيٍّ امتلأ غضبًا أخذت أصيح بوجهه: أرجع لي ابنتي، أرجع لي ابنتي.. ثم انهارت دموعي مع قوتي.

تجمَّد «غازي» للحظات، فلم يعتَد مني إلا السمع والطاعة؛ فلقد كان كملك اشترى جارية، فاعتاد الصياح والضرب والإهانة وعدم الاحترام، فكانت رغباته أوامر وزلاته وأخطاؤه وإهماله وشكره وعنفه حقًّا رجوليًّا.

ضحك كالضباع، ثم قال:

- لقد نَبت لكِ لسان، وأصبحتِ تصيحين في وجهي! حسنًا، تريدين أن أجد ابنتك، سأخبرك كيف، هناك شرطان كي أساعدك:

أولًا: سيكلفك ذلك 500 ألف دولار تسلمينها لأمي هي ثمن الفدية التي طُلِبَت مني لتحرير «سمر»، وكأتعاب لكل الأشخاص الذين سوف يساعدونني بالخارج.. وبعد تحرير «سمر» سأحرق الأخضر واليابس للوصول إلى الخاطفين وتدمير حياتهم واستعادة النقود مضاعفة...

قاطعته بغضب:

- ومن أين لي بهذا المبلغ؟ هل جننت؟!

ابتسم بخبث:

- هذه مشكلتك وليست مشكلتي، وأنتِ ذكية وجميلة، ستجدين حلًّا.

كقطعة حطب أُلقيت في نيران الموقد، احترق جسمي غضبًا، أكاد أنفجر، لكني فضَّلتُ الصمت حتى يُنهي حديثه، فقد كنت له مجرد سلعة مربحة أراد دومًا بيعها.

- ستتنازلين عن حقوق حضانة «سمر» بالكامل، وعندما نجدها ستعيش مع جدتها، وطبعًا يمكنك زيارتها مرة كل شهر، وإذا أردت زيارتها أكثر يمكنك طبعًا ذلك مقابل مبلغ بسيط؛ فأنا رجل رحيم لا أمانع، وستدفعين لأمي كل شهر مصاريف «سمر» كاملة ومبلغًا مقابل تعب أمي واهتمامه بابنتك.

- ماذا؟! أجبته... قال مجد بغضب

قلت له:

- وما أدراني أنك ستجدها؟

ابتسم بخبث وغضب:

- هل نسيتِ مَن هو «غازي»؟! ستنفذين كل ما طلبتُ قبل أن أبحث.

امتلأتُ بالحيرة فلم أعرف أي جواب أعطيه، يساومني بحقارة على حياة ابنتنا.

قلت له:

- لماذا لا تدفع المبلغ أنت؟ فأنت تملك كثيرًا.

قال «غازي»:

- أنتِ تعرفين أن كل أموالي قد صُودرت، وليس لديَّ أملاك باسمي، فتحركي وأوجدي مبلغ الفدية من تحت الأرض.

فعلًا، كانت كل أملاك «غازي» مسجلة باسم أمه؛ تخوفًا من أن تُصادَر أملاكه يومًا ما إذا اعتُقِل.

شُلَّ تفكيري فقلت له:

- سأفكر وأخبرك بجوابي، لكن أرجوك أن تبدأ بالبحث، إنها ابنتك، ألا تخاف عليها؟!

فردَّ بقسوة:

- «غازي» لا يخاف على أيّ إنسان، ولا يخاف من أي إنسان، أو أي شيء في العالم، سأمهلك يومين فقط، لقد تلقيت رسائل لدفع فدية مقابل إرجاع «سمر»، وأنا أتحرّى عن صحة هذه الادعاءات، فلم يقدم لي أحدهم أيّ دليل.

ثم صمت قليلًا وقال:

- يومان فقط.

ثم ودّع أُمّه وانصرف.

خرجنا من السجن وقد غمرتني الأفكار.. ماذا أفعل؟ لِمَ كل حياتي شقاء؟ وددتُ لو أنني بشعة المظهر لا ينظر إليّ أيّ أحد بإعجاب أو بأيّ رغبة، تحدثت «أم غازي» طوال طريق العودة، ولكنني كنت غارقة في متاهة الأفكار والخوف، فلم أستمع لحرف ممّا قالت، كل ما شغلني هو: أين «سمر»؟ وهل ستعود إليّ يومًا؟

وعند افتراقيَ عن «أم غازي» كل ما قالته:

- من الأفضل لكِ ولسمر أن تنصاعي لأوامر «غازي».

- يالَهُ من حقير!

قال «مجد».

- لطالما كان «غازي» حقيرًا، ولكني لم أتصور أنه بهذه النجاسة.

أخذت دموع «عبير» تنهار دون توقف، كنبع ماء انفجر فجأة.

سرحتُ إلى أعماق أفكاري، «غازي» فعلًا لا يخاف أي أحد؛ فقد حرصَت أمه على تربية وغد؛ فمنذ نعومة أظافره كان يمارس التنمُّر على الأطفال، ثم تعلم السرقة والبلطجة فالمخدرات، فلقد كانت عائلة «غازي» كلها من تجار المخدرات، وحرصت أمه على تربيته هو وإخوته على مبدأ عدم الرحمة، وعلى استغلال الضعيف والحصول على النقود بكل الطرق.

قُتِلَ«عبد الله »أخو «غازي» الأصغر مِن قِبَل إحدى العائلات المقدسية؛ انتقامًا

لمقتل اثنين من أبنائها على يده، فلقد اشتهر «عبد» بشراسته وعنفه، ويُرجّح أنه قتل ما يقارب سبعة عشر شخصًا خلال عدة سنوات، كان يعمل قاتلًا مقابل المال، حتى لقي حتفه على يد أحدهم دون أن تعلن أيّ عائلة مسؤوليتها، لكننا كنا نعرف أنها إحدى العائلات الكبيرة التي قُتِلَ اثنان من أبنائها على يده.

أما أخوه الثاني «عزام» فهو يقضي مدة اثنتي عشرة سنة في السجن لإدانته بسرقة سائحة واغتصابها، وتركها شبه ميتة بعدما دقَّ رأسها بصخرة، وظن أنها فارقت الحياة، ولكن لحسن حظها فقد أبلغت صديقتها عن اختفائها، فوجدتها الشرطة من خلال تتبُّع تحركات هاتفها النقال، فهذه التقنية التي تستخدمها الشرطة يمكنها تتبع حركات أي هاتف من خلال معرفة مواقع أبراج الاتصال الخلوي التي استخدمها الجهاز ليبقى متصلًا بالإنترنت.

«غازي» على الرغم من بداياته العشوائية، فإنه أستطاع أن يجمع من حوله مجموعة من خريجي السجون والقتلة ومروِّجي المخدرات، فاستطاع تأسيس عصابته الخاصة التي سيطرت على تجارة المخدرات والسرقة والترويع في محيط القدس، وعلى الرغم من محاربة جهات كثيرة من رجال القدس نشاط «غازي»، فإنه أسس قاعدة من الشباب الذين وقعوا في فخّ الإدمان، ولم تكتفِ عصابة «غازي» بإيقاع الشباب في وادي الإدمان المظلم، فكانوا يستدرجون المراهقين لتجربة مجانية للمخدرات، ومن ثَمَّ تعريفهم إلى إحدى الروسيات اللاتي يعملن مع العصابة، فينتهي الأمر بتصوير الشاب ثم ابتزازه واستخدامه بما يحلو للعصابة وتوريطه بشتى الأمور.

حروب عدة خاضها سكان القدس وقراها للتخلص من عصابة «غازي» وإنهاء سطوتها، وتُوِّجت هذه الحروب بإضعاف «غازي» وعصابته، ودخوله السجن، قُتل في هذه الحروب المخفية كثيرون من كلا الطرفين، ودون تدخُّل الشرطة التي غضَّت الطرف عن «غازي» لمدة طويلة حتى تلقَّت بلاغًا بأن «غازي» بدأ نشاطًا بالقدس الغربية فكانت نهايته، أما القدس الشرقية التي يسكنها العرب فلم يعارضوا نشاطه يومًا.

لم يُبدِ «غازي» خوفًا من أيّ شيء أو أيّ شخص؛ فقلبه لا يحمل أيّ شفقة أو حُبّ.. سواد وحقد وطمع وغرور وساديَّة، هي كل ما ملأ قلبه، كانت متعته هي مشاهدة مآسي الناس وإذلالهم، ولذته الكبرى عندما يُلحق الأذى والآلام بالآخرين، لكنَّ نقطة ضعفه الوحيدة منذ طفولته نشأت عبر صرخات الكوابيس التي لاحقته في صغره، تلك الفترة التي امتهنت أمه فيها تحضير الجان والسحر الأسود، فكانت تسعى إلى تطوير مهاراتها التي ورثتها من أمها، فبحثت «أم غازي» واشترت كل الكتب النادرة التي تشرح طرق استحضار الجان، وجميع أنواع السحر الأسود، فكانت تطبّق وتجرّب وصفات سرية كُتبت قبل مئات السنين، استخدمت فيها جلود الحيوانات ودماءها ورسومات وطلاسم وكلمات لاستدعاء الجان واستخدامهم، ترقَّت بالمعرفة المحرمة، وفعلت أمورًا كثيرة حرَّمها كل دين؛ من نجاسة وتمزيق كل الكتب السماوية، وطبقت بشغف كل أمر ذُكِرَ في تلك الكتب، فقد اختلت في حمام بيتها لمدة أربعين يومًا لا يقربها إنسان إلا ابنها «غازي» يقدّم لها الطعام من تحت الباب، فكانَت الرائحة الكريهة تنتشر من الحمام.. وبعد أسبوعين من العزلة، بدأ «غازي» يسمع أصواتًا خشنة غريبة تصدر من الحمام، حيث عزلت أمه نفسها، وبعد أربعة أسابيع كانت ضحكات «أم غازي» وصوتها الذي يدخل الرعب في النفوس تملأ ليل بيتها، وبعد أربعين يومًا خرجت «أم غازي» من عزلتها متسخة نجسة، لم يقدر «غازي» أن يقترب من أمه لرائحتها النتنة وخوفه منها.

بعد هذه العزلة، أصبح سحر «أم غازي» الأسود أكثر قوة ويهابه الناس، بمن فيهم «غازي» الذي كان يقوم مرعوبًا كل ليلة من صوت أمه الذي يتغير، ويصبح كصوت رجل خَشِن الصوت في كل مرة تحضِّر سحرًا أسودَ مقابل المال.

وعند بلوغ «غازي» الخامسة عشرة، خيَّرته أمه بين العمل معها في السحر أو أن يُحوِّل جنونه وحبّه لإيذاء الحيوانات والبشر إلى مهنة تُدِرّ المال، فاختار أن ينضم إلى عمه «نضال» البلطجي المعروف لكي يُدخِله في عالم الإجرام الذي أحبَّه «غازي» وأتقنه وطوَّره، فأصبح بعد بضع سنين يفوق عمه في البلطجة والعنف والتعذيب، ويلقى مَن يخالفه الويل، ثم حوَّل البلطجة وتجارة المخدرات إلى عمل منظم ضم إليه معظم شباب عائلته، حتى أصبحت مجموعته تسمى عصابة «غازي»، وأخذت

النقود تتدفق إليه من كل جانب، خصوصًا بعد إنشائه فرعًا لتجارة السلاح، وأصبح نفوذه وعلاقاته تمتد كالإخطبوط، وكل هذه النقود غسلها خلال مشاريع لبناء بيوت، ومن خلال محلات كثيرة اشتراها للتغطية على أعماله القذرة.

قالت «عبير»:

- انصحوني، ماذا يجب أن أعمل؟ لقد شُلّ تفكيري، هل أرضخ لطلبات «غازي»؟!

نظرتُ إلى «عبير» وقلتُ بصوت حازم:

- لن ترضخي لأيٍّ من أوامر «غازي» ولا أحلامه.

- إذًا فما الحل؟! إني ضائعة، أريد ابنتي بأي ثمن، ولا أريد أن أضطر إلى الخضوع لرغباته.

- أولًا: يجب أن نتأكد من صدق «غازي»، وهل تلقّى فعلًا طلبات فدية، أم أنها مجرد أكاذيب، وثانيًا والأهم: ربما تكون «سمر» مخبأة معهم في مكان لا نعرفه؛ لذا يجب أن نتأكد من كل شيء.

- وكيف نتأكد؟ فأنتما لم تجدا أي دليل في بيتها بمنطقة دورا.

- لقد وجدنا بعض الأدلة، انظري إلى هذه الصور التي التقطتُها لكتب «أم غازي».

سلّمتُ «عبير» هاتفي النقال، وأخذت أريها صورًا من كتب السحر في بيت «أم غازي»، كانت الطلاسم في الكتب مشابهة للرسومات التي وجدتها «عبير» في مدخل بيتها.

- غدًا سنواجه «أم غازي» بالرسومات التي وجدتِها في بيتك.

صاح الجميع باعتراض:

- ماذا تقول؟! سوف تنكر كل شيء وستتهجم علينا.

- لا تقلقوا؛ فلديّ خطة محكمة، سأقابلها أنا و«عبير»، فلقد وجدنا في بيتها أمرًا نبتزُّها به، فهذا وحده كفيل بضمان صمتها، لا تقلقوا.

اعترض الجميع بقوة؛ خوفًا من انتقام «غازي»، فقلت:

- لا تقلقوا! لن تخبر «غازي»، كونوا واثقين بذلك.

- أنا معك.

قالت «عبير» بقوة.

- إذًا غدًا ستتصلين بـ«أم غازي»، ونعقد اجتماعًا، أما الآن فيجب أن نذهب لنرتاح بالبيت، هيا بنا يا أُمّاه، تصبحون على خير.

- إلى الغد، تصبحون على خير.

ودَّعتنا «عبير» بصوتٍ مزج الخوف والعزم معًا.

دخلتُ البيت مع أمي، وهي تحاول إقناعي بالعدول عن الفكرة، بالإضافة إلى محاولتها معرفة كيفية ابتزاز «أم غازي»، ودفعها إلى قول الحقيقة.

- لم أكُن يومًا من المؤمنين بالسحر والشعوذة؛ فكلها بالنسبة لي خرافات.

خاطبتُ أمي وأنا أغسل الأواني، وقد أجلستُها على كرسي لترتاح.

- أعوذ بالله! السحر ليس خرافات؛ فهو مذكور في الكتب السماوية، وكيف تفسّر إذًا عوارض السحر؟!

- العقل يا أماه هو أكبر سلاح يملكه الإنسان، ويمكن أن نستخدمه لمنفعتنا أو لخراب بيوتنا، فبالعقل استطاع الإنسان تحقيق كل أحلامه، مهما كانت مستحيلة، وهنا يكمن جمال عقل الإنسان، فإذا أقنعتِ نفسك بقدرتك على تحقيق هدف ما، فإن عقلك سوف يؤمن بقدرتك على تحقيقه، وسيحثُّك على العمل الجاد لتحقيق أيّ هدف وسيُسخّر جسدك لتحقيقه، وتبرز هنا مشكلة أنه إذا أقنعت نفسك بعدم قدرتك على تحقيق شيء ما فسوف يصدق عقلك فيمنع جسدك من تطوير أيّ شيء لتحقيقه.

- أعوذ بالله! وما علاقة هذا بالسحر يا بني؟

- علاقة قوية يا أماه، فلو كررتِ إخبار عقلك بأن السحر موجود وبقوة السحرة، عندها سيربط العقل أيّ حركة تسمعينها ليلًا بالسحر، وسيربط أي مرض بالسحر، وأي مرض نفسي سيقول عقلك: هذا مسحور.. فنتّجه للسحرة بدلًا من العلم والمتخصصين بالأمراض النفسية والجسدية، فمعظم أمراضنا يمكن الشفاء منها أو التحسن بمجرد اقتناعك بأنك قوية، وأنك ستتغلبين على المرض بالعلاج وقوة الإرادة.

- ولنفترض أن ما تقوله هو الحق، فما رأيك في «غازي»؟! هل هو خيال؟! أخبرني.

قالت أمي بغضب نابع من خوفها عليّ.

- لا تقلقي يا أماه، فلقد أعددتُ خطة محكمة ليس فيها مخاطرة، هيّا الآن؛ فقد تأخرتِ عن موعد نومك، وأنا متعب، تصبحين على خير.

- تصبح على خير، وحاول أن تفكر جيدًا وألا تلتقي «أم غازي».

قبّلتُ أمي وذهبت إلى غرفتي.

كنت أعلم جيدًا أن أيّ احتكاك بـ«غازي» وأمه خطر ولعب بالنيران، لكني عقدتُ العزم على المُضِي قُدُمًا بما أفكّر وأخطط.

لم أستطِع إغلاق عينيّ من فرط التفكير والتأمل، فكان لقاء الغد مهمًّا وحاسمًا، ويجب أن يتم على أكمل وجه.

Telegram:@mbooks90

كقطار لا يتوقف، عقلي يعمل ويأبى النوم، فقمتُ واتجهتُ إلى مكتبتي، عشرات الكتب والروايات والبحوث في كل زاوية، سأحاول قراءة بضع صفحات لعلّي أبعد تفكيري عن الغد.

في صباح اليوم التالي، قمتُ وأعددتُ الفطور لي ولأمي، جلسنا نأكل ولم نتحدث بأي كلمة، كان التوتر والارتقاب طاغيين على أمي.

اتصلَت «عبير» لتخبرني بأن موعدنا مع «أم غازي» بعد الظهر، فقلت لها:

- حسنًا، سأحضر قبل الموعد.

قبل أن تدق الساعة الثانية عشرة كنت أدق باب «عبير».

فتحت «عبير» الباب بسرعة:

- تفضل، كيف الحال؟

كان التوتر ظاهرًا عليها، غاصت عيناها في سواد من قلة النوم، وبدا وجهها شاحبًا من كثرة البكاء وعدم الأكل.

جلستُ أنا و«عبير» نراجع خطتنا وكيفية الضغط على «أم غازي»، فكان ابتزازها بأمر زواجها هو ورقتنا الرابحة التي سنعتمد عليها.

أخذت «عبير» نفسًا عندما سمعت دقات جرس، كنا نجلس في غرفة الصالون وحدنا، وكانت «أم عبير» مَن فتح الباب وأدخلت «أم غازي».

رجّ باب الصالون عندما دفعته «أم غازي» بقدمها ودخلت، طغت عليها المفاجأة عندما رأتني، وقالت:

- «قاسم»! كيف حالك؟ ماذا تفعل هنا؟

- أهلًا «أم غازي». كيف حالك؟

اهتزت الأريكة من وزنها الثقيل عندما جلست مقابلنا، ثم أومأت بحركة من يديها مفادها: ماذا تفعل هنا؟

- «عبير» خطيبتي، وأهتم لمصلحتها...

قاطعتني بغضبٍ فورًا:

- ما شاء الله! ولماذا لم يخبرني أحد؟!

- لستُ مدينًا بإخبارك؛ فأنا و«عبير» أحرار.

صاحت:

- أنتما مجبران على إخباري؛ فنحن لن نوافق على أن تُربّى ابنتنا «سمر» في ظل رجل غريب، وستلقيان الويل من «غازي» على ذلك.

ثم قامت تريد الخروج وهي تنتفض غضبًا بعدما ضربت الطاولة بيدها.

- وهل رضي «غازي» عن زيجتك بـ«أبو أحمد» جارك؟

فتجمدت، وبدأت بالتلعثم، وقالت:

- من؟! ما هذه الترهات؟!

اصفرّ وجهها، وارتبكت لأول مرة منذ زمن بعيد، كان خوفها من غضب «غازي» وانتقامه من زوجها ومنها واضحًا.

- اجلسي أولًا، لديّ كل الأدلة، وهذا لا يعنيني.

جلست وقالت:

- من قال لكم هذه الكذبة؟

- كل ما يعنيني هو إيجاد «سمر»، ولنتكلم بوضوح، فلديّ كل الأدلة، ونسخة من عقد زواجك، بالإضافة إلى معلومات أخرى عنك، ولكنّ كل هذا لا يعنيني الآن.

- حسنًا، حسنًا! ستندم على كلامك، ولكن ماذا تريد مني الآن؟ أخبرني!

أشرت لها بأصبعي ورفعت صوتي:

- لا تُهدّدي.

صمتت وكل جسدها ينتفض من التوتر، وقالت:

- تكلم، أخبرني، ماذا تريد؟

- أريد معرفة أين «سمر».

- هههه، ومن أين لي أن أعرف؟! هي ليست عندي.

- وماذا تفسرين هذه الصور؟!

سلمتها نسخًا لصور الرموز والطلاسم التي كانت مرسومة على جدار بيت «سمر» قبيل اختفائها.

أمسكت «أم غازي» الصور، وأخذت تتفحصها بعناية، وقد اختلف لون وجهها كأنها قابلت ملك الموت، ثم قالت بصوت مرجوج متوتر:

- أين كانت هذه الرسومات؟

قالت «عبير»:

- كنتُ أجدها على جدران البيت مرسومة بالدم، وكنت أعرف أنكِ أنتِ من فعل ذلك؛ فلا تنكري هذا الأمر، أين «سمر»؟ أخبريني!

كان وجه «عبير» أحمر اللون وعيناها كلهما غضب وكره.

- أؤكد لكما وأقسم إن هذا ليس من أعمالي.

ولم ترفع عينيها عن الصور وهي تتفحصها.

- إذا لم تكُن هذه من أعمالك، فلمن تكون؟! لا داعي للإنكار، أخبرينا، أين «سمر»؟

رمت الصور على الطاولة، وقالت -وهي تنظر إلينا بحدة وغضب-:

- هذه ليست أعمالي، لن أنكر أني أعمل في مجال فك السحر، ومساعدة الناس المسحورين وشفائهم، لكن هذا عمل ذو طلاسم نادرة لا يجرؤ على استخدامها إلا أشخاص قلائل في عالمنا، وأنا شخصيًا لم أصل إلى هذا المستوى والصلاحيات التي تُمكّنني من استخدام هذا النوع من السحر الأسود، ثم إنَّني أحارب هذا النوع من السحر والسحرة ولا أستخدمه؛ فعملي شفاء الناس من هذه الأسحار الشيطانية...

ثم سكتت للحظات، وهي تتأمل الصور، وقالت:

- ولكن طوال حياتي لم أشاهد سحرًا بهذه القوة وبهذا المستوى من الجرأة على استخدام... امممم.

ثم صمتت.

قالت «عبير» في لهفة:

- أخبريني أرجوكِ، سأفعل ما تريدين، لكن اصدقيني القول، هل لهذه الطلاسم أي علاقة باختفاء «سمر»؟ أرجوك، أخبريني الحقيقة.

ثم انهالت الدموع من عينيها كالنهر.

- إن هذا يسمى سحر الطلاسم، وهو سحر أسود، هذا النوع من السحر القديم جدًا، ولا يجيده إلا قليل من خبراء الطلاسم السرية المحرمة حتى بين السحرة أنفسهم.

قلت لها:

- ولماذا هو محرم؟ فالسحرة يتعاملون بالطلاسم والسحر الأسود، وهذا عملهم، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، فالسحرة -لعنهم الله- يستخدمون الطلاسم في أعمالهم وأحجبتهم لمختلف الأمور، وأعوذ بالله أن يكون خادم السحر من الجان، وهو المسؤول عن تنفيذ أوامر السحر التي كُتبت بطلاسم لا يفهمها إلا الساحر، ولا بُدَّ من وجود أوراق تحتوي على أثر من المسحور كخصلة من شعره أو قطعة من ثيابه تلف بالسحر نفسه، ويكون مُخبأً بمكان قريب من المسحور، يُدفن أو يُخبأ في مكان قريب حتى يكون السحر فعَّالًا، طبعًا كله محرم، وأنا أحارب هذه الأمور طول حياتي...

ثم أكملت:

- وهناك أيضًا مَن يخفون السحر بمكان بعيد عن المسحور، ولكن يتركون أثرًا قريبًا من المسحور يربطه بالسحر نفسه، وذلك لكي يصعب إيجاد السحر، ويصعب إبطاله، وفي حالتنا فالرسومات هي عبارة عن رابط السحر وليس السحر نفسه، فهذه الرسومات هي كالخريطة التي تدل خادم السحر على المسحور وطلاسم السحر، وإذا أُزيلت لن يبطل السحر، لعنهم الله كفرة.

تحدثَت بشغف، كأحد الفنانين يشرح لوحة لـ«دافينشي».

- يا «أم غازي»، قال الله تعالى في القرآن، بسم الله الرحمن الرحيم:

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} صدق الله العظيم.

قالت «أم غازي»:

- وهذا معناه وجوده.

- ولكن عند نزول القرآن، أرسل الله -سبحانه وتعالى- الشُّهب -وهي النجوم المحترقة- فعندما تحاول الشياطين الاستماع إلى ما ينزل من السماء ينزل عليهم شهاب يحرقهم؛ لذلك فإن عامة الناس حين يرون شهابًا يحترق في السماء بسرعة يقولون: «سهم الله في عدو الدين». كأن المسألة في أذهان الناس، ويقصدون بقولهم «عدو الدين»: الشيطان.

السحر يؤدي إلى اختلال التوازن في الكون؛ لأن الساحر يستعين بقوة أعلى في عنصرها من الإنسان، وهو الشيطان، وهو مخلوق من نار خفيف الحركة، قادر على التشكل، وغير ذلك.. والإنسان عندما يطلب ويتعلم كيف يسخر الجن، يدَّعي أنه يفعل ذلك لينشر الخير في الكون، لكنها ليست حقيقة؛ لأن هذا يُغريه على الطغيان.. والذي يُخلّ بأمن العالم هو عدم التكافؤ بين الناس.

أومأتُ بتصديق كلامها وقلت:

- ولذلك أريد أن تساعدينا بمعرفة علاقة هذا السحر باختفاء «سمر»، ومن ثَمَّ إيجادها.

قالت:

- إن هذه الطلاسم هي خريطة تدل على موقع السحر نفسه، يجب عليّ فك معاني هذه الطلاسم حتى أعلم أين دُفن السحر الأصلي، وعند إيجاد السحر وقراءة طلاسمه يمكننا معرفه علاقته باختفاء «سمر»، يجب عليّ أولًا تفسير طلاسم الرسومات التي صوّرتها «عبير»، يوجد ببيتي كتاب يمكن أن يساعدني في فهم الطلاسم وتحويلها إلى خريطة تدلنا على موقع أوراق السحر الأصلية.

قلت:

- حسنًا، اجلبي الكتاب لنفسّر الطلاسم.

- لا، لا.. لا تجوز قراءة هذه الرموز؛ فهذا خطر، سأذهب إلى البيت وأترجم كل شيء ثم سأخبركما بالمعاني كاملةً، سأعود بعد ساعة فلديّ الكتاب في بيتي هنا.

ساد صمت؛ فلم نكن نثق بـ«أم غازي».

- ما بالكما؟ أنا أيضًا أريد إيجاد «سمر»، سأعود بعد ساعة.. أرسلي هذه الصور إلى هاتفي، وانتظراني حتى أعود.

أرسلت «عبير» صور الطلاسم إلى «أم غازي».

اهتزت الأريكة عندما قامت «أم غازي»، وانطلقت إلى بيتها لتفسير الطلاسم.

قالت لي «عبير» عندما ذهبت «أم غازي»:

Telegram:@mbooks90

- كيف يمكننا الوثوق بتفسيراتها؟! فربما تخدعنا.

- لا تقلقي؛ فتفسير الطلاسم سوف يرشدنا إلى مكان السحر، ومن ثَمَّ معرفة علاقته باختفاء «سمر»، وليس لدينا خيار آخر حاليًا.

أخذت «عبير» بالبكاء، فقد شعرت بفقدان الحيلة، وبالضعف، كانت كزهرة تذبل كل يوم.

توقف الوقت، وأصبحت عقارب الساعة لا تقوى على الحركة، كسلحفاة أنهكها الزمن.

بلّلت دموع «عبير» السجادة من تحت قدميها، وكان رأسها منحنيًا، تنظر إلى الأرض برهة ثم إلى الساعة، تراقب الوقت بقلق، لا تقوى على الكلام.

ثم بعد أكثر من ساعتين بقليل دق الباب بقوة.

شعرت بأن دقات قلبي تسارعت، كطفل ينتظر نتائج امتحان، وقفت «عبير» ومسحت دموعها، ثم ركضت لفتح الباب بلهفة..

دخلت «أم غازي» وعلى وجهها علامات الذهول.

- ماذا وجدت؟

صحنا بها..

- هل وجدت أيّ دليل على موقع «سمر»؟

قالت:

- هذا السحر هو سحر أسود خاص لا يستخدمه أو يعرف التحكم بقواه سوى اليهود السامريين الذين يسكنون جبال نابلس.. وكل سحر يحمل علامات الساحر الذي صنعه.

- إذًا فما الحل؟!

قالت «عبير» بصوت يرجف خوفًا وتوترًا.

نهضت «أم غازي» وقالت:

- يجب أن نذهب إلى جبل السامريين في نابلس.. فقد تحدثت إلى أحد أصدقائي هناك، وهو على استعداد لمساعدتنا لفهم طلاسم هذا السحر لكنه لا يعد بأي شيء. سوف يحاول معرفة الساحر المسؤول، ومن ثَمَّ التوسط عنده لمعرفة أيّ دليل عن مكان «سمر».

- حسنًا لنذهب.

قلت بحماس.

- لا، لقد طلب أن نحضر غدًا بعد غروب الشمس، وأن نُحضر له بعض الهدايا.

قالت «سمر»:

- سنحضر ما يريد، لا يهم.

قلت:

- وماذا يريد؟! ربما يكون نصابًا.

صاحت «أم غازي» بغضب:

- إنه من السحرة المعروفين، الذين لديهم علاقات قوية بالعالم السفلي، لا تقل هذا الكلام مجددًا.

قلت:

- حسنًا. ماذا يريد؟

جلست «أم غازي»، وعيناها تشعان غضبًا، وقالت:

- ديك أسود و9 بيضات صغيرة ورأس أرنب.. وعدة طلبات أخرى.

قلت:

- حسنًا، سأذهب إلى سوق اللحامين في البلدة القديمة لشراء كل طلباته، ثم إلى سوق العطارين لشراء باقي الطلبات.

استغرقَت رحلتنا قرابة الساعتين إلى جبال نابلس، حيث السامريين، ثم إلى البيت المنشود.

كانت أعين البلدة كلها تراقبنا، وتراقب كل تحركاتنا، وتتفحصنا بعناية.

عند الوصول إلى بيت الشيخ المتخصص دقت «أم غازي» الباب بقوة بيديها الغليظتين..

نسمع صوتًا رجوليًا خشنًا من وراء الباب ويخرج منه رجل كبير السن:

- أهلًا وسهلًا.. شرفتم.

وقابلنا بحفاوة.

كان رجلًا يتسم بضخامة الجسم، ذا شارب عريض وشعر أبيض كثيف، وذا بشرة سمراء اللون.. إنه الشيخ رافع، الخبير الأول بأمور السحر في جبال سامراء، وكان يسكن في بيت متواضع نسبيًا..

- تفضلوا.. تفضلوا.

دخلنا بيته.. كان إبريق الشاي يتوسط الطاولة، ومن حولة مجموعة كؤوس زجاجية فارغة.

صب الشيخ الشاي في الكؤوس فامتلأت الغرفة برائحة الشاي القروي اللذيذ.

بعد محادثة طويلة لشرح القصة للشيخ وبعد عرض الصور والرموز وإعطائه كل الطلبات، قال:

- أمهلوني إلى المغرب.

خرجنا في جولة إلى نابلس القريبة، حيث تغدّينا، وقمنا بجولة في أسواقها، واستغللتُ وجودنا فيها لتجربة عدة أنواع من حلوياتها، على الرغم من استغراب «أم غازي» من برود أعصابي.

بعد صلاة المغرب، توجّهنا من جديد إلى جبل السامريين، ثم إلى بيت الشيخ، وبلهفة دخلنا بيته، وجلسنا في غرفة مليئة بالكتب..

ساد الصمت لبضع دقائق، ثم بدأ الشيخ بالحديث:

- بعد التدقيق في الطلاسم؛ سأخبركم بسِرّ، ولكن ستقسمون على المصحف الشريف بعدم إخبار أحدٍ به.

بعد إحضاره المصحف، أقسمنا عليه بعدم إخبار أيّ مخلوق بالمعلومات التي سوف يُطلعنا عليها، وبعد تهديدنا بأشد العواقب إن أفشينا السر، قال الشيخ:

- كل تسع سنين يجتمع المجلس العالي للسحرة مع مجلس عبَدة الشياطين الدولي لتجديد العهد مع الشياطين لتقوية مفعول السحر الأسود في فلسطين.. وفي هذا الاجتماع، يجب تقديم أضحية بشرية، طفلة بمواصفات معينة هدية للشيطان.

صاحت «أم غازي» وقد اصفرَّ لونها وارتعدت فرائصها:

- «سمر» أضحية؟! «سمر»؟! لا لا لا..

قال الشيخ:

- في تاريخ ٩/٩، الساعة ٩، كل ٩ سنين تتم التضحية.. هناك ٣ أيام قبل الموعد.

قالت «أم غازي»:

- وما الحل؟ يجب أن نجد حلًّا.

قال الشيخ:

- إن السحرة يوكلون عصابة لخطف الطفل مقابل مبلغ كبير، ولكن عصابة الخاطفين يتواصلون مع أهل الطفل لطلب فدية أكبر من المبلغ الذي يدفعه السحرة، وإذا وافق أهل الطفل يجري إرجاعه، وإذا لم يوافق يُسلَّم للسحرة...

قاطعتهم:

- وإذا دفع الأهل للسحرة، هل يُخطف طفل آخر؟

سكت الشيخ:

- هذا لا يعنيكم.

ثم قال:

- وهل طلبت العصابة فدية؟

قالت «أم غازي»:

- نعم نعم، ٥٠٠ ألف دولار.. ولكن من أين لنا هذا المبلغ؟

قال الشيخ:

- لديكم أقل من ٣ أيام، وإذا تأخرتم فلن تقبل العصابة حتى الفدية.

صاحت «عبير»:

- خذوا كل ما أملك.. بضع حلي ذهبية.

قلتُ:

- إن ثمن هذه الحلي الذهبية بضعة آلاف، وهذه لا تكفي.

قلت لـ«أم غازي»:

- إن ابنك قد وعد بإرجاع المبلغ من العصابة بالقوة، ولكن يجب أن ندفع كامل المبلغ.

قالت «أم غازي»:

- ومن أين لي بهذا المبلغ؟ قد أستطيع تجميع بضعة ألوف فقط.

قلت لها:

- لديكِ قطعة أرض كبيرة بالخليل، تستطيعين بيعها بهذا المبلغ بسهولة.

شكرنا الشيخ، وخرجنا مسرعين لتجميع المبلغ.

همستُ لـ«أم غازي»:

- يجب عليكِ بيع الأرض، وإلا سأفضحك، وأنشر كل شيء عنك وعن زوجك السري، وعن بخلك لاستعادة حفيدتك، وعن الشعوذة في بيتك وعن الطقوس التي تمارسينها في بيتك وتصورينها بالكاميرا الخفية.. تُرى ما رأي النساء اللاتي تصورينهن، ورأي أزواجهن؟!

ارتعدت فرائص «أم غازي»!

ثم قلت لها:

- إن ابنك سيُرجِع النقود عاجلًا أم أجلًا، فهو لن يترك حقه، وسينتقم منهم.

أخيرًا وافقت «أم غازي».. وبعد بضع مكالمات إلى سماسرة الأراضي بيعت الأرض بسهولة بعد إنزال سعرها إلى مبلغ ٤٥٠ ألف دولار بدلًا من سعرها الأصلي الذي يصل إلى ٥٥٠ ألف دولار تقريبًا.

وقد بعنا كل ما نستطيع لإكمال المبلغ وتجميعه لتحرير «سمر».

بضع مكالمات مع الرقم الذي تركته العصابة واتفقنا على مكان التسليم.

وبعد تهديد العصابة بإعدام «سمر» إذا حصل أيّ حركة غدر أو إخبار للشرطة جمعنا ٥٠٠ ألف دولار في شنطة وتوجهت أنا و«مجد» وبضعة شباب من الحارة لتسليم مبلغ الفدية في إحدى المناطق البعيدة.

وبعد الوصول إلى نقطة الالتقاء، تَوجَّه إلينا راكب دراجة هوائية تفحَّصنا وتفحص المبلغ، ثم عاد أدراجه.

وبعد عشر دقائق حضرت ثلاث سيارات جيب، دون أيّ أرقام، وتحتوي على زجاج مغطًى بمادة سوداء.

توقفَت على مسافة ١٠٠ متر منا.

أنزلوا «سمر».

توجَّه إلينا رجل ملثم تسلم المبلغ.. وأطلقوا سراح «سمر»..

كانت مغطاة العينين وعلى أذنيها سماعة.

***

أنظر إلى المرآة وأبتسم..

قبل شهر، قُتِل «غازي» داخل السجن من مجموعة مساجين..

ويده اليمنى «علي» قُتِل في إحدى مناطق عكا..

ودبّت حرب طاحنة داخل عصابة «غازي»، حيث جرى تبادُل الاتهامات عن مقتل «غازي» ثم نائبه، ممّا أدى إلى انقسام العصابة، ونشبت حرب على الزعامة، وعلى تقاسم المناطق.

بعد موت ابنها وبيع الأرض وتسريب مقاطع من أعمالها، اختفت «أم غازي» ورحلت إلى مكان مجهول.

أما «عبير»، زوجتي الآن، فهي تُكِنّ لي كل الحب والعرفان؛ فأنا مُخلِّصها وحبيبها الأبدي..

هههه..

أنظر إلى نفسي بتفاخُر في المرآة.. لقد لقوا ما يستحقون..

كانت فكرة خطف «سمر» من تخطيطي بالكامل..

وكل الطلاسم من صنعي..

أما مبلغ الفدية الكامل فوُزِّع لدفع ثمن قتل «غازي» ونائبه «عليّ»، وقتل «أم غازي» التي يظن الجميع أنها هربت، وثمن كل مَن ساعد من المشعوذين وغيرهم.. هههه!

نعم، وأصبحت «عبير» وابنتها ملكي الآن.

هل أنا وحش؟! ربما، في غابة الوحوش إما أن تكون فريسة وإما أن تكون مفترسًا..

لقد دفعت «أم غازي » ثمن قتل «غازي» منبع قوتها ,ودفعت ثمن مقتلها وهي لا تدري .

«عبير» تحتضنني من الخلف فترجعني إلى الواقع.

«عبير»! لماذا تمتلكين حظًّا جعلك تستبدلين بوحش مستبدّ وحشًا آخر مستترًا؟!

ربما هذا حظك.. على الأقل، هذا الوحش يحبّك.. هذا نصيبك.

***

Telegram:@mbooks90